



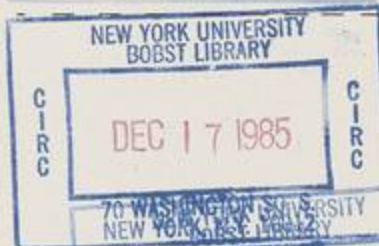
3 1142 00497 3379

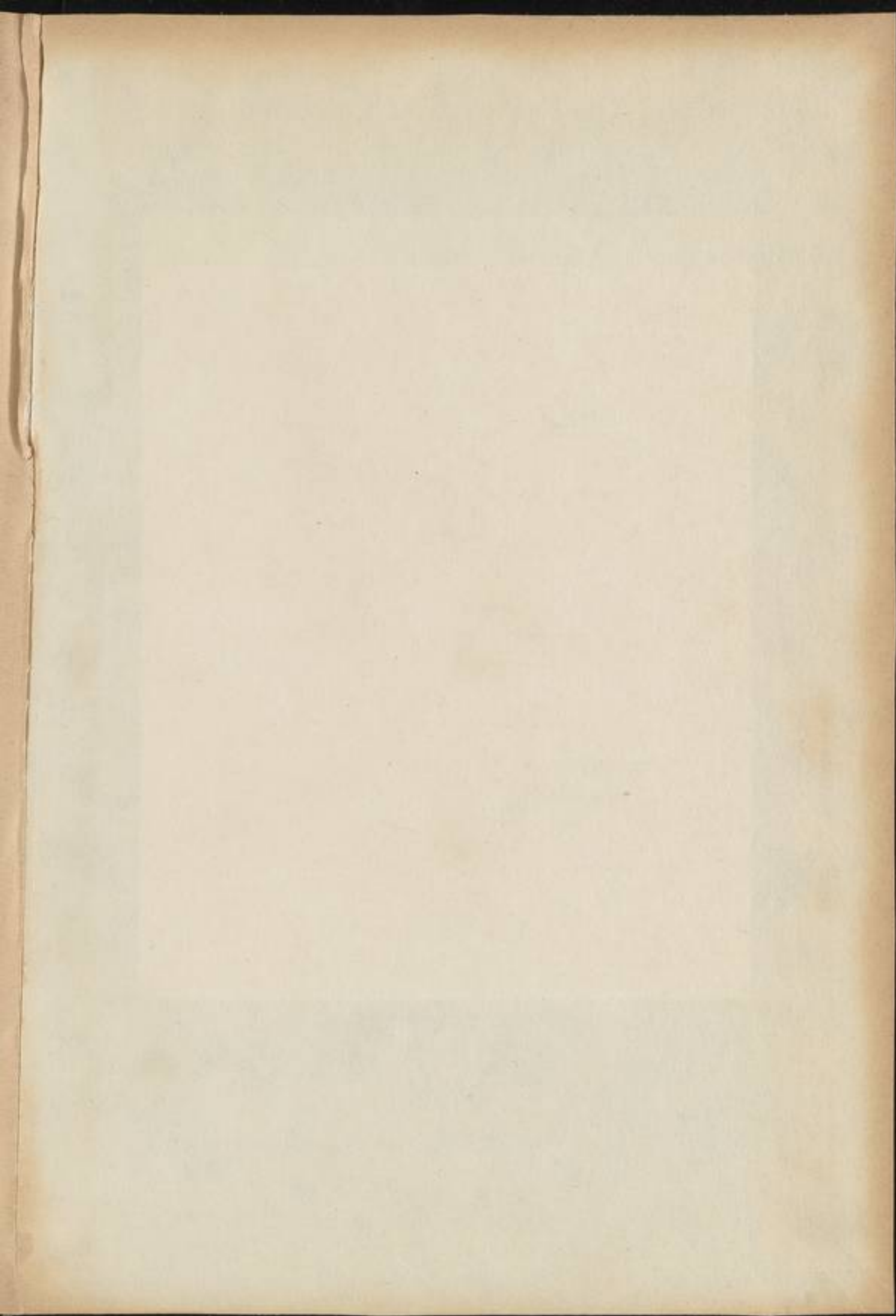


**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

DATE DUE





Ibn Taymiyah, Ahmad

al-Furqān bayna awliyā' al-Rahmān
wa-awliyā' al-Shayṭān

الفُرُقَانُ

بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

منشورات المكتبة الإسلامية بدمشق

Near East

BP

189

.4

.I3

1962

المكتب الإسلامي

للطباعة والنشر

لصاحبه

محمد زهير الشياوش

دمشق - الحلبوني

ص. ب. ١٠٨٠٠ - هاتف ١١٦٣٧ - بريقيا : (إسلامي)

١٩٦٢ - ١٤٨٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

إن الحمد لله ، حمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فهذا كتاب

الفرقات بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

نقدمه للناس بعد أن نفذت نسخته — رغم أنه قد طبع مرات متعددة —
ولم تعد متوفرة لمحبي الحق .

وقد ألفه شيخ الإسلام — عليه رحمة الله — لما رأى من كثرة الادعاء
واضطراب الموازين عند كثير من الناس . فذكر فيه صفات أولياء الله تعالى ،
وأقسامهم ، وتفاضلهم بحسب أعمالهم ، وأنه لا عصمة لهم ، بل العصمة للأنبياء
فقط فيما يبلغون عن ربهم جل وعلا ، وليست للأولياء ، وأن خوارق العادات
ليست دليلاً على الولاية ، وأن الأنبياء أفضل من الأولياء . وبين بطلان قول
من يقول بأن من الأولياء من يفضل الأنبياء ، وأن النبوة لم تنقطع . ورد أقوال
الملاحدة في إنكار أصول الإيمان ، ومن يقول بالحلول والاتحاد .

هذا ؛ وقد ذكر رحمه الله أعظم الفروق بين أولياء الرحمن وأتباع
الشياطين ، وبعض معجزات رسول الله ﷺ ، وكرامات بعض الأولياء من
الصحابة والتابعين ، وبين أن مبنى الكرامات على الإيمان والتقوى ، لا على الجهل
والدعوى ، كما كشف الزيف عن بعض من لا يلتزم أحكام الشرع ، ويظهر
على يديه ما يظن أنه من الكرامات ، وأشار إلى أحوالهم الشيطانية ، وأساليبهم
الخبثية التي تخفى على كثير من الناس ، وحذر الناس من أساليبهم الخداعة ،
ومظاهرهم المغرية كي يكونوا على حذر منهم .

كل ذلك بأسلوب علمي سهل ، وأدلة واضحة ، وبراهين ساطعة لا تدع
مجالاً للريب والشك ، كما هي عادته رحمه الله تعالى في كل ما ألف وكتب .

ونحن نرى أن في اطلاع الناس على ما قدم هذا الإمام العظيم من أدلة
عامة شاملة ، وأقيسة صحيحة واضحة ، يستطيعون أن يفرقوا بين أولياء الرحمن
دعاة الحق ، وبين أولياء الشيطان دعاة الباطل ، وإنا نرى فيهم كثرة نستعين
الله عليها ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
اللهم إنا نسألك أن تجنبنا مزلق الشيطان ، وأن تجعلنا من عبادك الصالحين
المخلصين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق ١ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ

الموافق ٨ نيسان ١٩٦٣ م

ابوبكر

زهراوي

وأرشد به من النفي ، وفتح به أعينا عمياء ، وآذانا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ،
 وفرق به بين الحق والباطل ، والمهدى والضلال ، والرشاد والنفي ،
 والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة ، والأشقياء أهل النار ،
 وبين أولياء الله وأعداء الله . فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله
 فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أعداء
 الله وأولياء الشيطان .

وقد بيّن سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن الله
 أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء
 الشيطان . فقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
 الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة
 لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) ^(١) وقال تعالى : (الله
 ولي الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا
 أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب
 النار هم فيها خالدون) ^(٢) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
 اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه
 منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . قترى الدين في قلوبهم مرض

(١) سورة يونس ، الآيات : ٦٢ - ٦٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧ .

يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين .
ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟ حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين . يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ، أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون^(١) . وقال تعالى : (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً)^(٢) .

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)^(٣)
وقال تعالى : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان

(١) سورة المائدة ، الآيات : ٥٦ - ٥٦ (٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٤

(٣) سورة النحل ، الآيات : ٩٨ - ١٠٠ .

ضعيفاً) (١). وقال تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو، بئس للظالمين بدلاً) (٢). وقال تعالى: (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) (٣). وقال تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (٤). وقال تعالى: (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون. وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) (٥) إلى قوله: (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) (٦) وقال تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) (٧) وقال الخليل عليه السلام: (يا أبت إني أخف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) (٨) وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦ (٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٩

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣ - ١٧٥

(٥) سورة الأعراف، الآيات: ٢٧، ٢٨ (٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٠

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٢١ (٨) سورة مريم، الآية: ٤٥

أولياء تلقون إليهم بالمودة^(١) الآيات إلى قوله : (إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)^(٢) .

فصل

وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ،
فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فرق الله ورسوله بينهما ، فأولياء
الله هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)^(٣) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : من عادى
لي ولياً فقد بارزني^(٤) بالمحاربة - أو فقد آذنته بالحرب - وما تقرب إليَّ

(١) سورة المتحنة ، الآية : ١ ، وتامها : (وقد كفروا بما جاءكم من الحق
يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في
سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن
يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) . (٢) سورة المتحنة ، الآية : ٥

(٣) سورة يونس ، الآيات : ٦٢ ، ٦٣ (٤) لفظ « المبارزة » لم يرد في
« صحيح البخاري » ، وإنما هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة ، والحديث في
« البخاري » مروى في كتاب « الرقائق باب التواضع » ولفظه : « من عادى لي
ولياً فقد آذنته بالحرب » ... وقد تكلم الحافظ ابن رجب الحنبلي على هذا الحديث
في « جامع العلوم والحكم » ، فليراجع .

عبيدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . « ولئن سألتني لآعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبيدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته . ولا بد له منه » وهذا أصح حديث يروى في الأولياء ، فبين النبي ﷺ أنه من عادى ولياً لله فقد بارز الله في المحاربة .

وفي حديث آخر : « [و]إني لآتأر لآولياي كما يثار الليث الحرب » أي : آخذ تأرم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب تأره ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله ^(١) » وفي حديث آخر رواه أبو داود وقال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل

(١) حديث حسن أخرجه أحمد في « المسند » عن البراء والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود .

الإيمان»^(١).

والولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد . وقد قيل : إن الولي صمي ولياً من موالاته للطاعات ، أي متابعتها لها ، والأول أصح . والولي : القريب ، يقال : هذا بلي هذا ، أي : يقرب منه . ومنه قوله ﷺ : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلا ولي رجل ذكر »^(٢) أي لا تقرب رجل إلى الميت . وو كده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص بالذكور ، ولا يشترك فيه الذكور والإناث ، كما قال في الزكاة : « فابن لبون ذكر »^(٣).

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويستخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان الممادي لوليه معادياً له ، كما قال تعالى : (لاتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)^(٤) فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال : « ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة » .

(١) رواه أبو داود بسند حسن .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس . (٣) هذا اللفظ جاء في رواية أبي داود عن أبي بكر ونصه : « فما دون خمس وعشرين من الأبل والغنم ، في كل خمس ذود شاة ، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض إلى أن تبلغ خمساً وملائين فإن لم يكن فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر » . ورواه النسائي والبخاري بمعناه . (٤) سورة الممتحنة ، الآية : ١ .

وأفضل أولياء الله هم أنبيأؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ،
وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
ﷺ . قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه)^(١) وقال تعالى : (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل
الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً)^(٢) .

وأفضل أولي العزم : محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين ، وسيد
ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، صاحب
المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد ،
وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب
الوسيلة والفضيلة ، الذي بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع
دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وجمع له ولائته من
الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر الأمم خلقاً ، وأول
الأمم بعثاً ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه

(١) سورة الشورى ، الآية : ١٣ (٢) سورة الأحزاب ، الآيات : ٧ ، ٨

من بعدهم ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه - يعني يوم الجمعة - فهذا أنا الله له : الناس لنا تبع فيه ، غداً لليهود ، وبعده غد للنصارى ،^(١) .

وقال ﷺ : « أنا أول من تشق عنه الأرض »^(٢) . وقال ﷺ :

« آتى باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد . فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »^(٣) .

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة ، ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه ، فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان . قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(٤) قال الحسن البصري رحمه الله : ادعى قوم أنهم يحبون الله ، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها ، أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ ، فليس من أولياء الله ؛ وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم ، أو في غيرهم ، أنهم من أولياء الله ، ولا يكونون من أولياء الله ، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله [وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم ، بل يدعون

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . (٢) رواه الترمذي

وأبو داود ، ومسلم بمناه . (٣) رواه مسلم في صحيحه ، عن أنس .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٣١

أهم أبنائه] وأحباؤه . قال تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر
 ممن خلق)^(١) الآية ، وقال تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
 كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم)^(٢) ، إلى قوله : (ولا هم
 يحزنون)^(٣) .

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله ، اسكنهم مكة ،
 ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم ، كما قال تعالى : (قد
 كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به
 سامراً تهجرون)^(٤) وقال تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا
 ليثبتوك أو يقتلوك)^(٥) إلى قوله : (وهم يصدون عن المسجد الحرام
 وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون)^(٦) فبين سبحانه أن المشركين
 ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، إنما أولياؤه المتقون .

ونبت في « الصحيحين » عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال :
 سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر : « إن آل فلان ليسوا
 لي بأولياء - يعني طائفة من أقاربه - إنما ولبي الله وصالح المؤمنين »^(٧)

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١١١

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١١٣ (٤) سورة المؤمنون ، الآيات : ٦٦ ، ٦٧

(٥) سورة الانفال ، الآية : ٣٠ (٦) سورة الانفال ، الآية : ٣٤

(٧) أخرجه البخاري ، في كتاب « الادب » ، باب « يبل الرحم بيلها » ،

وأخرجه مسلم في « كتاب الايمان » ، باب « موالات المؤمنين ومقاطعة غيرهم » ، عن
 عمرو بن العاص .

وهذا موافق لقوله تعالى : (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين)^(١) الآية وصالح المؤمنين : هو من كان صالحاً من المؤمنين .
 وهم المؤمنون المتقون أولياء الله ودخل في ذلك أبو بكر ، وعمر ،
 وعثمان ، وعلي ، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين باعوا تحت الشجرة ،
 وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وكلهم في الجنة ، كما ثبت في « الصحيح » عن
 النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد ممن باع تحت الشجرة »^(٢)
 ومثل هذا الحديث الآخر : إن أوليائي المتقون أئمة كانوا
 وحيث كانوا^(٣) .

كما أن من الكفار من يدعي أنه ولي الله ، وليس ولياً لله ، بل
 عدو لله . فكذلك من المنساقين الذين يظهرون الإسلام ، يقرون في
 الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنه مرسل إلى
 جميع الانس ، بل إلى الثقلين : الانس والجن ، ويعتقدون في الباطن
 ما يناقض ذلك ؛ مثل أن لا يقرؤا في الباطن بأنه رسول الله ، وإنما

(١) سورة التحريم ، الآية : ٤

(٢) أخرجه مسلم بلفظ : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة -
 أحد - الذين باعوا تحتها » ، وأبو داود والترمذي عن جابر .

(٣) روى الحاكم في « المستدرک » مرفوعاً : « إن أوليائي منكم المتقون » ، وفي
 سنده إسماعيل بن عبيد وهو مجهول . ولفظ : أئمة كانوا وحيث كانوا ،
 إنما هو من كلام مجاهد .

كان ملكاً مطاعاً ، ساس الناس برأيه ، من جنس غيره من الملوك ، أو يقولون : إنه رسول الله إلى الأُميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق ، وأن الله أولياء خاصة ، لم يرسل اليهم ، ولا يحتاجون إليه ، بل لهم طريق إلى الله من غير جهته ، كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه ويتفهمون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها . وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو هم أعرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : إن أهل الصفّة كانوا مستغنيين عنه ، ولم يرسل اليهم ، ومنهم من يقول : إن الله أوحى إلى أهل الصفّة في الباطن ما أوحى إليه ليلة المعراج ، فصار أهل الصفّة بمنزلة ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)^(١) وأن الصفّة لم تكن إلا بالمدينة ، وكانت صفّة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم ، فإن المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة ،

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١

فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ؛ ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد ، إلى أن يتيسر له مكان ينتقل اليه .
 ولم يكن أهل الصفة ناساً بأعيانهم بلازمون الصفة ، بل كانوا يقاتون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زماناً ، ثم ينتقل منها ، والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الاسلام وقتله النبي ﷺ ، كالعربيين الذين اجتووا المدينة ، أي : استوخموها ، فأمرهم النبي ﷺ بلقاح - أي إبل لها لبن - وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا ؛ قتلوا الراعي ، واستاقوا الذود ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، فأتي بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وممرت أعينهم ، وتركهم في الحرّة يستسقون فلا يسقون .

وحدثهم في « الصحيحين » ^(١) من حديث أنس ؛ وفيه أنهم

(١) أخرجه البخاري ، في كتاب الحدود ، باب : لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا ، ونصه : قدم رهط من عكل على النبي ﷺ كانوا في الصفة فاجتووا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ! أبغنا رسلاً ، فقال : « ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله » . فأتوها فشربوها من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الذود . فأتى النبي ﷺ الصريخ ، فبعت الطلب في آثارهم ، فما رجل النهار حتى أتى بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وماحسهم ، ثم ألقوا في الحرّة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا . اجتووا : استوخموا أبغنا رسلاً : بكسر الراء وسكون السين : أي اطلب لنا لبناً . الذود : بفتح =

نزلوا الصفّة، فكان ينزلها مثل هؤلاء، ونزلها من خيار المسلمين
سعد بن أبي وقاص، وهو أفضل من نزل بالصفّة، ثم انتقل عنها،
ونزلها أبو هريرة وغيره، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من
نزل الصفّة.

وأما الأئصار فلم يكونوا من أهل الصفّة، وكذلك أكابر
المهاجرين - كآبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير،
وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة [بن الجراح] وغيرهم - لم يكونوا
من أهل الصفّة.

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة، وأن النبي ﷺ
قال: « هذا واحد من السبعة » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم،
وإن كان قد رواه أبو نعيم في « الحلية » وكذا كل حديث يزوي عن
النبي ﷺ في عدة الأولياء، والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد،
والأقطاب، مثل أربعة، أو سبعة، أو اثني عشرة، أو أربعين، أو
سبعين، أو ثلاثمائة، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر، والقطب الواحد، فليس

= القال - سكن الواو: ما بين الثلاثة إلى العشرة من الأبدل. الصريح: المستقيث.
ترجل النهار: ارتفع. ما حسهم: ما كوى مواضع القطع. الحرة: أرض
ذات حجارة سوداء.

في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال .

وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً ؛ وأنهم بالشام ، وهو في « المسند »^(١) من حديث علي كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة ، كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي .

وقد أخرجنا في « الصحيحين » عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين صرخوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في أدنى المسكرين دون أعلاهما .

(١) قال الشيخ أحمد في تعليقه على « المسند » : إسناده ضعيف لانقطاعه ، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك علياً ، بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاة من الصحابة .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشد :

قد لسمعت حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راق

إلا الحبيب الذي شفقت به فعنده رقبتي وترباتي

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت السبرة عن منكبه ، فإنه

كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه

مزق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه ، فعلقها على العرش ، فهذا

وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من أظهر

الأحاديث كذبا عليه ﷺ .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال : كان النبي

ﷺ وأبو بكر يتحدثان ، وكنت بينهما كالزنجي ، وهو كذب موضوع

باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا ؛ أنه فيمن يقر برسائله العامة في الظاهر ومن يمتد

في الباطن ما ينافض ذلك ، فيكون منافقاً ، وهو يدعي في نفسه وأمثاله

أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله ﷺ ، إما

عناداً ، وإما جهلاً ، كما أن كثيراً من النصارى واليهود يمتدنون أنهم

أولياء الله ، وأن محمداً رسول الله ، لكن يقولون : إننا أرسل إلى غير

أهل الكتاب ، وإنه لا يجب علينا اتباعه ، لأنه أرسل إلينا رسلاً قبلة ؛

فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يمتقدون في طائفتهم أنهم أولياء الله ، وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(١) .

ولا بد في الايمان من أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . ويؤمن بكل رسول أرسله الله ، وكل كتاب أنزله الله ، كما قال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم)^(٢) . وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا ما أوسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)^(٣)

(١) سورة يونس ، الآيات : ٦٢ ، ٦٣ (٢) سورة البقرة ، الآيات : ١٣٦ ، ١٣٧

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ٢٨٥ ، ٢٨٦

وقال في أول السورة (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (١) فلا
بد في الايمان من أن تؤمن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، لاني بعده (٢) ،
وأن الله أرسله إلى جميع الثقليين : الجن والانس . فكل من لم يؤمن بما
جاء به فليس بمؤمن ، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين . ومن
آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض ، فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال الله
تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين
ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً .
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف
يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) (٣) .

ومن الايمان : الايمان بأنه هو الواسطة بين الله وبين خلقه في
تبليغ أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وحلاله وحرامه . فالحلال ما أحله

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١-٥

(٢) وبذلك تعلم كفر القاديانية الذين يزعمون بأن النبوة لم تنقطع بعد محمد

(٣) سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ - ١٥٢ . ﷺ

الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله ﷺ . فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان .

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورزقه إياهم ، وإجابته لدعائهم ، وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده ، يفعله بما يشاء من الأسباب ، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس يؤمن ، ولا ولي الله تعالى ، كالأخبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم . وكذلك المنتسبين إلى العلم والعبادة من المشركين ، مشركي العرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمناً بجميع ما جاء به محمد ، فهو كافر عدو لله ، وإن ظن طائفة أنه ولي الله ؛ كما كان حكماء الفرس من المجوس كفاراً مجوساً ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو وأمثالها ، كانوا مشركين بعبادتهم الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة ، وكان وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني ، وهو الذي يؤرخ

له تواريخ الروم واليونان ، وتؤرخ به اليهود والنصارى . وليس هذا هو ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه ؛ كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين لما رأوا أن ذلك اسمه الاسكندر ؛ وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذاك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه .

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك - الذي قد كان أرسطو وزيره - متأخر عن ذلك ، ولم بين هذا السور ، ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه ؛ يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفي أصناف المشركين ، من مشركي العرب ، ومشركي الهند ، والترك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسل ، ولا مؤمن بما جاؤوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا بطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولأولياء الله ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل آفاك أنيم ، يلقون السمع

وأكثرهم كاذبون^(١).

وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل ، فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة .

ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقرنت بهم ، فصاروا من اولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن . قال الله تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)^(٢) وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسول الله ﷺ مثل القرآن ، فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه ، فيقيض له الشيطان فيقترن به .

قال تعالى : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه)^(٣) وقال تعالى : (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)^(٤) ، فدل ذلك على أن ذكره هو آياته

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٢١-٢٢٣ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٥٠ . (٤) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ - ١٢٦

التي أنزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً ليلاً ونهاراً مع غاية الزهد ، وعبدته بجهاد في عبادته . ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله - وهو القرآن - كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، فإن الشيطان يحمله في الهواء ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضوع .

فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من نفاق ، كما جاء في « الصحيحين » عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا شاهد غدر . »

وفي « الصحيحين » أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إمالة الأذى عن الطريق ، والحياة شعبة من الإيمان » فبين النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

وقد ثبت في «الصحيحين» أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، فقال: يا رسول الله! أعلی كبر سني؟ قال: «نعم».

وثبت في «الصحيح» عنه أنه قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية: الفخر في الاحساب، والطعن في الانساب، والنباحه على الميت، والاستسقاء بالنجوم»^(١).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

وفي «صحيح مسلم»: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

وذكر البخاري عن ابن أبي مليكة أنه قال: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. وقد قال الله تعالى: (وما أصابكم يوم النقي الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين. وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قاتلوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان)^(٢)، فقد جعل

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز عن أبي مالك الأشعري.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٦، ١٦٧.

هؤلاء إلى الكفر ، أقرب منهم للإيمان ، فعلم أنهم مخلطون ، وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مخلطاً وإيمانه أقوى .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله ، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق ، قال الله تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)^(١) وقال تعالى : (إنما النسي زيادة في الكفر)^(٢) وقال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)^(٣) وقال تعالى في المنافقين : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً)^(٤) فبين سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية الله ، بحسب إيمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب

(١) سورة التوبة ، الآيات : ١٢٤ ، ١٢٥

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٧ (٣) سورة محمد ، الآية : ١٧

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٠

كفره ونفاقه . وقال تعالى : ' ويزداد الذين آمنوا إيماناً ' (١) وقال تعالى :
(ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) (٢) .

فصل

وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقرَّبون ، وأصحاب يمين
مقتصدون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول
سورة (الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الانسان) و(المطففين) ، وفي سورة
(فاطر) ؛ فانه سبحانه وتعالى ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى في أولها ،
وذكر القيامة الصغرى في آخرها ؛ فقال في أولها : (إذا وقعت الواقعة
ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجَّت الأرض رجاً . وبست
الجبال بساً . فكانت هباءً منبثاً . وكنتم أزواجاً ثلاثة . فأصحاب
اليمين ما أصحاب اليمين . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة .
والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلثة من
الأولين . وقليل من الآخرين) (٣) .

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها
الأولين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير

(١) سورة المدثر ، الآية : ٣١ (٢) سورة الفتح ، الآية : ٤

(٣) سورة الواقعة ، الآيات : ١ - ١٤ .

موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة : (فلولا) أي فهلاً (إذا بلغت
 الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن
 لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين .
 فأما إن كان من المقرئين . فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان
 من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من
 المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم . إن هذا هو حق
 اليقين . فسبح ربك العظيم)^(١) .

وقال تعالى في سورة الانسان : (إنا هديناه السبيل إما شاكراً
 وإما كفوراً . إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً . إن
 الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عينا يشرب بها عباد
 الله يفجرونها تفجيراً . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً .
 ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه
 الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً . إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً
 قطريراً . فواقهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً . وجزاهم
 بما صبروا جنة وحريراً)^(٢) الآيات .

وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال : (كلا إن كتاب

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٨٣ - ٩٦ (٢) سورة الدهر ، الآيات : ٣ - ١٢

الفجار لفي مسجين وما أدراك ما مسجين . كتاب صرقوم ويل يومئذ
المكذبين الذين يكذبون بيوم الدين . وما يكذب به إلا كل معتد
أنيم . إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون . كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا
الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون . كلا إن كتاب الأبرار
لفي عليين . وما أدراك ما عليون . كتاب صرقوم يشهده المقرءون . إن
الأبرار لفي نعم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة
النعم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك . وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقرءون ^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف، قالوا: يمزج
لأصحاب اليمين مزجا، ويشرب بها المقرءون صرفا، وهو كما قالوا:
فإنه تعالى قال: (يشرب بها)، ولم يقل يشرب منها، لأنه ضمن قوله:
يشرب معنى يروي، فإن الشارب قد يشرب ولا يروي، فإذا قيل:
يشربون منها، لم يدل على الري، فإذا قيل: يشربون بها، كان المعنى يروون
بها، فالمقرءون، يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها، فلهذا
يشربون منها صرفا، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجا،

(١) سورة المطففين، الآيات: ١٨ - ٢٨،

وهو كما قال تعالى في سورة الانسان : (كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجييراً)^(١) .

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لأن الجزء من جنس العمل في الخير والشر ، كما قال النبي ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكروا الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . رواه مسلم في « صحيحه » . وقال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »^(٢) قال الترمذي : حديث صحيح .

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في « السنن » يقول الله

(١) سورة الدهر ، الآيتان : ٥ ، ٦ .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

تعالى : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن
وساها وصلته ، ومن قطعها بتته «^(١) ، وقال : « ومن وساها وصله الله ،
ومن قطعها قطعه الله »^(٢) ، ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون ، وأصحاب يمين ، كما تقدم ،
وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : « يقول
الله تعالى : « من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، ومانقرب إليَّ عبدي
بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ،
فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها »^(٣) .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المنتقربون إليه بالفرائض ، يفعلون
ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكافون أنفسهم

(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف ، وقال : حسن صحيح . قال الحافظ المنذري : وفي تصحيح الترمذي له نظر ، فان أباسلمة ابن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئاً .

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ : « الرحم معلقة بالمرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله » . (٣) رواه البخاري في « صحيحه » وإيس فيه لفظ المبارزة ، وإنما هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة . وقد تقدم .

بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ،
ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، فلما
تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حباً تاماً ،
كما قال تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » (١) ،
يعني الحب المطلق كقوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين
أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (٢) أي أنعم عليهم
الانعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) (٣) .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله
عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشرعوا صرفاً ، كما عملوا له
صرفاً . والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم ، فلا يعاقبون عليه ،
ولا يثابون عليه ، فلم يشربوا صرفاً ، بل مزج لهم من شراب المقربين
بحسب ما مزجوه في الدنيا .

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ، ونبي

(١) حديث قديسي رواه البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة .

(٢) سورة الفاتحة ، الآيتان : ٦ ، ٧ (٣) سورة النساء ، الآية : ٦٩

ملك ، وقد خير الله سبحانه محمداً ﷺ ، بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، فالنبى الملك ، مثل داود وسليمان ونحوهما عاينهم الصلاة والسلام ، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي قال (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الأصفاد . هذا عطاؤنا فممن أو أمسك بغير حساب)^(١) . أي : أعطى من شئت ، وأحرم من شئت ، لأحساب عليك ، فالنبى الملك ، يفعل ما فرض الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه ، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار ، من غير إثم عليه .

وأما العبد الرسول ، فلا يعطى أحداً إلا بأمر ربه ، ولا يعطى من يشاء ، ويحرم من يشاء ، بل يعطى من أمره ربه باعطائه ، ويولي من أمره ربه بتوليته ، فأعماله كلها عبادات لله تعالى ، كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إني والله لأعطي أحداً ، ولا أمنع أحداً ، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت »^(٢) ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية إلى الله والرسول ، كقوله تعالى : (قل الأتقال

(١) سورة ص ، الآيات : ٣٥ - ٣٩ (٢) رواه البخاري بلفظ : « ما أعطيك ولا أمنعك ، أنا قاسم ، أضع حيث أمرت » .

لله والرسول) (١) وقوله تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى
فله والمرسول) (٢) وقوله تعالى: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله
خمسه وللرسول) (٣) .

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما
يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر، كما هو مذهب مالك وغيره
من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخمس : إنه
يقسم على خمسة ، كقول الشافعي ، وأحمد في المعروف عنه ، وقيل : على
ثلاثة ، كقول أبي حنيفة رحمه الله .

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبي الملك ،
كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، أفضل
من يوسف ، وداود ، وسليمان عليهم السلام ، كما أن المقربين السابقين ،
أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن
أدى ما أوجب الله عليه ، وفعل من المباحات ما يحبه ، فهو من هؤلاء ،
ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ، ويقصد أن يستعين بما أباح له
على ما أمره الله ، فهو من أولئك .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١ (٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٤١ .

فصل

وقد ذكر الله تعالى أوليائه المقتصدين والسابقين في سورة (فاطر)، في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) ^(١) لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية، هم أمة محمد ﷺ خاصة، كما قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله، ذلك هو الفضل الكبير) ^(١).

وأمة محمد ﷺ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، بخلاف الآيات التي في (الواقعة) ^(٢) و(المطففين) و(الانفطار) فإنه دخل فيها جميع الأمم

(١) سورة فاطر، الآيات: ٣٢ - ٣٥

(٢) والآيات في سورة الواقعة: (وكنتم أزواجاً ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون) . =

المنقدمة، كافرهم ومؤمنهم، وهذا التقسيم لامة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المصرّون عليها. والمقتصد: المؤدي للفرائض، المجتنب للمحارم. والسابق للخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل، كما في تلك الآيات. ومن تاب من ذنبه، أي ذنب كان، توبة صحيحة، لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين، كما في قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين).

وقوله: (جنات عدن يدخلونها) ^(٢) مما يستدل به أهل السنة،

= والآيات في سورة الانفطار: (إن الأبرار في نعيم. وإن الفجار في جحيم). وفي سورة المطففين: (يوم يقوم الناس لرب العالمين. كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) إلى قوله تعالى: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين).

(١) في سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ - ١٣٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .
وأما دخول كثير من أهل الكبار النار ، فهذا مما تواترت به
السنن عن النبي ﷺ ، كما تواترت بخروجهم من النار ، وشفاعة نبينا
محمد ﷺ في أهل الكبار ، وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا
ﷺ ، وشفاعة غيره ؛ فن قال : إن أهل الكبار يخلدون في النار ،
وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقصد أو
الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوله [من تأوله] من المعتزلة ، فهو مقابل
بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبار النار ،
ويزعمون أن أهل الكبار قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ،
وكلاهما يخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ، ولاجماع سلف الأمة
وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من
كتابه ، وهو قوله تعالى : (إن الله لا يفرق بين شرك به ويفرق ما دون
ذلك لمن يشاء)^(١) فأخبر تعالى أنه لا يفرق الشرك ، وأخبر أنه يفرق
مادونه لمن يشاء ، ولا يجوز أن يراد بذلك النائب ، كما يقوله من يقوله
من المعتزلة ، لأن الشرك يفرقه الله لمن تاب ، وما دون الشرك ، يفرقه
الله أيضاً للنائب ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين ؛

قال تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)^(١)، فهنا عمم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر الله له، ومن تاب من الكبائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له.

ففي آية التوبة^(٢)؛ عمم وأطلق، وفي تلك الآية^(٣) خصص وعلق، فخص الشرك بأنه لا يغفره، وعلق ما سواه على المشيئة، ومن الشرك النمطيل للحالتين، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب، ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه، كتعطيل الخالق، أو يجوز أن لا يعذب بذنب، فانه لو كان كذلك، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفوراً له، بلا توبة ولا حسنات ماحية، لم يعلق ذلك بالمشيئة.

وقوله تعالى: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(٤) دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض، فبطل النبي والعفو العام.

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) المراد آية التوبة الواردة في سورة الزمر: (قل يا عبادي الذين أسرفوا الخ .) وقوله في تلك الآية إشارة إلى قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به الخ .)

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨

فصل

وإذا كان أولياء الله عز وجل ، هم المؤمنون المتقين ، والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى ، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك ، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق ، كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك .

وأصل الايمان والتقوى : الايمان برسول الله ، وجماع ذلك : الايمان بخاتم الرسل محمد ﷺ ؛ فالايان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسوله . وأصل الكفر والنفاق ، هو الكفر بالرسل ، وبما جاؤوا به ، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة ، فان الله تعالى أخبر في كتابه ، أنه لا يمذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة . قال الله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)^(١) وقال تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والألسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١٥

حجة بعد الرسل^(١) . وقال تعالى عن أهل النار : (كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير)^(٢) فأخبر أنه كلما أتى في النار فوج أقرؤا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ، فدل ذلك على أنه لا يلقي فيها فوج إلا من كذب النذير . وقال تعالى في خطابه لابليس : (لا ملأنا جهم منك ومن تبعك منهم أجمعين)^(٣) فأخبر أنه يملؤها بابليس ومن تبعه ، فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم . فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان ، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له ، فإنه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً ، وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل .

فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيماناً [عاماً] مجملاً ، وأما الإيمان المفصل ، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك ، فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ، ولو بلغه لآمن به ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيماناً مجملاً ، فهذا إذا عمل بما علم أن الله

(١) سورة النساء ، الآيات : ١٦٣ - ١٦٥

(٢) سورة الملك ، الآيات : ٨ ، ٩ (٣) سورة ص ، الآية : ٨٥

أمره به مع إيمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعالى ، له من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه . ومالم تقم عليه الحجة به ، فإن الله تعالى لم يكافئه معرفته ، والإيمان المفصل به ، فلا يعبده على تركه ، لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب مافاته من ذلك ، فمن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به إيماناً مفصلاً ، وعمل به ، فهو أكمل إيماناً وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلاً ، ولم يعمل به ، وكلاهما ولي لله تعالى . والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً ، وأولياء الله المؤمنون المنتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم . قال الله تبارك وتعالى : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلاً نمدو هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)^(١) .

فبين الله سبحانه وتعالى ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطائه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر ، ثم قال تعالى : (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)^(٢) ؛ فبين الله سبحانه ، أن أهل الآخرة

(١) سورة الاسراء ، الآيات : ١٨ - ٢١ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٢١

يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين ، فقال تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)^(١) وقال تعالى : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً)^(٢) .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ؛ ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى : (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى)^(٣) وقال تعالى : (لا يستوي القاعدون

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٥ (٣) سورة الحديد ، الآية : ١٠

من المؤمنين غير أولي الضر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم
 فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد
 الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات
 منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً (١) وقال تعالى : (أجمعتم
 سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
 وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين .
 الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم
 درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
 وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدأ إن الله عنده أجر عظيم) (٢)
 وقال تعالى : (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة
 ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما
 يتذكر أولو الألباب) (٣) ؛ وقال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم
 والذين أتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) (٤) .

(١) سورة النساء ، الآيتان : ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآيات : ١٩ - ٢٢ (٣) سورة الزمر ، الآية : ٩

(٤) سورة المجادلة ، الآية : ١١

فصل

وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً ، لقوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(١) .

وفي « صحيح البخاري » الحديث المشهور ، وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض ، فيكون من الأبرار أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل ، حتى يكون من السابقين المقربين ؛ فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله ، وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تبلغه الدعوة ، وإن قيل : إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم ، فلا يكونون من أولياء الله ، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين ، فمن [لم] يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله ؛ وكذلك المجانين والأطفال ، فإن النبي ﷺ قال : « يرفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي

(١) سورة بونس ، الآيات : ٦٢ ، ٦٣

حتى يحتمل ، وعن النائم حتى يستيقظ» (١).

وهذا الحديث قد رواه أهل « السنن » من حديث علي وعائشة رضي الله عنهما ، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول ، لكن الصبي المميز تصح عبادته ويثاب عليها عند جمهور العلماء ، وأما المجنون الذي رفع عنه القلم ؛ فلا يصح شيء من عبادته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند طامة العقلاء لأموال الدنيا كالتجارة والصناعة ، فلا يصلح أن يكون بزاً أو زواً ولا عطاراً ولا حداداً ولا نجاراً ، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالاً معتبرة في مواضع بالنص والإجماع ، وفي مواضع فيها نزاع .

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل ، وامتنع أن يكون ولياً لله ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله ، لا سيما أن تكون حجته على ذلك ، إما مكاشفة صحتها منه ، أو نوع من تصرف ، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد ، فأت

(١) رواه أحمد في « المسند » وأبو داود والحاكم . وقال الحافظ ابن حجر بعد ما أورده طرق عديدة بألفاظ متقاربة ، هذه طرق يقوي بعضها بعضاً . وصححه أحمد شاكر في « المسند » .

أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنياً وظاهراً ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن الأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : إن الأنبياء ضبقوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ، دون الخاصة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية ، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان ، فضلاً عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن أحد من خرق عادة على ولايتهم ، كان أضل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون ، فان كونه مجنوناً ، يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ، ومن كان يجن أحياناً ويفيق أحياناً ، إذا كان في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله ، ويؤدي الفرائض ، ويحتمل المحارم ، فهذا إذا جن ، لم يكن جنونه مانعاً من أن يثيبه الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته ، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه

وتقواه ، فان الله يثيبه ويأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه ، ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه .

فعلی هذا فن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي لله ، فان هذا ان لم يكن مجنوناً ، بل كان متولها من غير جنون ، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة . ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ ، فهو كافر . وإن كان مجنوناً باطنياً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يمتد فيه أحد أنه ولي لله ، ولكن إن كان له حالة في إفاقته ، كان فيها مؤمناً بالله متقياً ؛ كان له من ولاية الله بحسب ذلك ، وإن كان له حال إفاقته فيه كفر أو نفاق ، أو كان كافراً أو منافقاً ، ثم طرأ عليه الجنون ، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه ، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق .

فصل

وليس للأولياء الله شيء يميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا ، ولا بخلق شعر أو تقصيره أو ظفره ، إذا كان مباحا ، كما قيل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عبا . بل يوجد في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجار والصناع والزراع .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه)^(١).

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : (القراء) فيدخل فيهم العلماء والذسآك ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء .

(١) سورة المزمل ، الآية : ٢٠

واسم الصوفية : هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح
وقد قيل : إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء . وقيل : إلى صوفة [بن
صر] بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفون بالنسك ، وقيل :
إلى أهل الصفة . وقيل : إلى [أهل] الصفاء . وقيل : إلى الصفوة .
وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى ؛ وهذه أقوال ضعيفة ،
فإنه لو كان كذلك ل قيل : صفي ، أو صفائي ، أو صفوي أو صفي^(١) ،
ولم يقل : صوفي ، وصار اسم الفقراء ، يعني به أهل السلوك ، وهذا
عرف حادث ؛ وقد تنازع الناس : أيها أفضل ، مسمى الصوفي ، أو
مسمى الفقير ؟ ويتنازعون أيضاً أيها أفضل ، الغني الشاكر ، أو الفقير
الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الجنيد وبين أبي العباس بن
عطاء ، وقد روي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان ، والصواب في هذا
كله ما قاله الله تبارك وتعالى ، حيث قال : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند

(١) صفي بضم الصاد وتشديد الفاء ، نسبة إلى أهل الصفة ، وصفائي نسبة إلى
أهل الصفاء ، وصفوي بفتح الصاد وسكون الفاء ، نسبة إلى صفوة ، وصفي
بفتح الصاد وتشديد الفاء نسبة إلى الصف المقدم .

الله أتقاكم^(١).

وفي « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه سئل : أي الناس أفضل ؟ قال : « أتقاهم » قيل له : ليس عن هذا نسألك ، فقال : « يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله » . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا »^(٢).

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله أتقاهم .

وفي « السنن » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لمعجمي على عربي ، ولا لأسود على أبيض ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب »^(٣).

وعنه أيضاً ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى أذهب عنكم عبية^(٤) الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، الناس رجلان : مؤمن تقي ، وفاجر شقي^(٥) . فمن كان من هذه الأصناف أتقى لله ، فهو أكرم عند الله ، وإذا استويا في التقوى ، استويا في الدرجة .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه أحمد في « المسند » عن أبي نضرة ، وقال الهيثمي : رجاله رجال

الصحيح . (٤) العيبة : الكبر .

(٥) حديث صحيح ، رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح .

ولفظ الفقر في الشرع ، يراد به الفقر من المال ، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه ، كما قال تعالى : (إنا الصدقات للفقراء والمساكين)^(١) وقال تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله)^(٢) وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات ، وأهل النبي .

فقال في الصنف الأول : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً)^(٣).

وقال في الصنف الثاني ، وهم أفضل الصنفين : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)^(٤).

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات ، وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً ، كما قال النبي ﷺ : « المؤمن من أمنه الناس على دماهم وأموالهم »^(٥) و « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »^(٦) و « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله »^(٧).

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٠ (٢) سورة فاطر ، الآية : ١٥

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ (٤) سورة الحشر ، الآية : ٨

(٥) رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن . ورواه ابن ماجه ، ورجاله ثقات .

(٦) رواه البخاري ومسلم . (٧) رواه الترمذي ، وأحمد ، والطبراني ،

قال الملائي : حديث حسن .

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم، أنه قال في غزوة تبوك: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله^(١)، وجهاد الكفار من أعظم الاعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الانسان. قال الله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً)^(٢): وقال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستويون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم)^(٣).

وثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي ﷺ، فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل عملاً

(١) قال الحافظ العراقي، رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر. وقال الحافظ ابن حجر: هو من كلام إبراهيم بن عيلة.

(٢) -سورة النساء، الآية: ٩٥ (٣) سورة التوبة، الآيات: ١٩ - ٢٢

بعد الاسلام إلا أن أسقى الحاج ، وقال آخر : ما أبالي أن أعمل عملاً بعد
الاسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال علي بن أبي طالب : الجهاد في
سبيل الله أفضل مما ذكرتما ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر
رسول الله ﷺ ولكن إذا قضيت الصلاة سألته ، فسأله فأنزل الله
تعالى هذه الآية .

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
قلت : يا رسول الله أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة
على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال :
« الجهاد في سبيل الله » . قال : حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته
لزادني .

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه سئل أي الأعمال أفضل ؟
قال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج
مبرور » .

وفي «الصحيحين» أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول
الله ! أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال : « لا تستطيعه ، أو
لا تطيقه » قال : فأخبرني به ، قال : « هل تستطيع إذا خرجت مجاهداً
أن تصوم ولا تقطر ، وتقوم ولا تقتر ؟ »

وفي «السنن» عن معاذ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يا معاذ اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلاق حسن »^(١) وقال : « يا معاذ إني لأحبك ، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك »^(٢) ، وقال له وهو رديفه : « يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقه عليهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقه عليهم ألا يعذبهم »^(٣) .

وقال أيضاً لمعاذ : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروه سنامه الجهاد في سبيل الله » وقال : « يا معاذ ألا أخبرك بأبواب البر ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وقيام الرجل في جوف الليل » ثم قرأ : (تنجاني جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)^(٤) ثم قال : « يا معاذ ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك ؟ » فقال : « أمسك عليك لسانك هذا ، فأخذ بلسانه ، قال :

(١) رواه الترمذي وقال : حديث . وهو كما قال .

(٢) رواه أبو داود ، والنسائي ، وسنده صحيح .

(٣) رواه الشيخان . (٤) سورة السجدة ، الآيات : ١٦ ، ١٧ .

يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؛ فقال: « تكلمتكم أمك يامعاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »^(١).

وتفسير هذا ما ثبت في « الصحيحين » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت عن الشر خير من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء، فذلك من البدع المذمومة أيضاً، كما ثبت في « صحيح البخاري » عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أبو إسرائيل؛ نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه ».

ونبت في « الصحيحين » عن أنس أن رجلاً سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنهم نقالوها، فقالوا: وأبنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثم قال أحدهم: أما أنا فاصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم^(٢)، وقال الآخر: أما

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقد تكلم عليه الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم »، فليراجع. (٢) جملة: « لا آكل اللحم » هي من رواية مسلم، وليست في البخاري.

أنا فلا أتزوج النساء ، فقال رسول الله ﷺ : « ما بال رجال يقول أحدهم : كذا وكذا ، ولكنني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » ؛ أي سلك غيرها ظاناً أن غيرها خير منها ، فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله ، قال تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)^(١) بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ؛ كما ثبت عنه في « الصحيح »^(٢) أنه كان يخاطب بذلك كل يوم جمعة .

فصل

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشبهه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه ، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى ، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ، ولا

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٠

(٢) أي « صحيح مسلم » . ولفظه : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ،

وخير الهدي هدي محمد ، ﷺ .

يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، فقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)^(١) .

وقد ثبت في « الصحيح »^(٢) أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء

وقال : « قد فعلت » .

ففي « صحيح مسلم » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)^(٣) . قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه ، فقال النبي ﷺ : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل

(١) سورة البقرة ، الآيات : ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) أي « صحيح مسلم » .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤

الله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)^(١) إلى قوله (أو أخطأنا)^(٢)
 قال الله : « قد فعلت » (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من
 قبلنا)^(٣) قال : « قد فعلت » (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
 واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)^(٤) قال :
 « قد فعلت » وقد قال تعالى : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
 ما عمدتم قلوبكم)^(٥).

وثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة
 وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً ، أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم
 فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » . فلم يؤثم المجتهد المخطئ ،
 بل جعل له أجراً على اجتهاده ، وجعل خطأه مغفوراً له ، ولكن المجتهد
 المصيب له أجران ، فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن
 يغلط ، لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولي الله ، إلا
 أن يكون نبياً ، بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه ،
 إلا أن يكون موافقاً ، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً
 من الحق ، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

فإن وافقه قبله ، وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أوافق هو أم مخالف ،
توقف فيه .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط ، فمنهم
من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله ، وافقه في كل ما بطن أنه حدثه
به قلبه عن ربه ، وسلم إليه جميع ما يفعله ؛ ومنهم من إذا رآه قد قال أو
فعل ما ليس بموافق للشرع ، أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان
بجهداً مخطئاً ؛ وخيار الأمور أوسطها ، وهو أن لا يجعل معصوماً ولا
مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً ، فلا يتبع في كل ما يقوله ، ولا يحكم عليه
بالكفر والفسق مع اجتهاده .

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله ، وأما إذا خالف
قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين ، لم يكن لأحد أن يلزمه بقول
المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « قد كان
في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فمعر منهم » . وروى
الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « لو لم أبعث فيكم لبعث
فيكم صمر »^(١) .

(١) ليس هو في الترمذي ، وإنما أخرجه ابن عدي ، وفي سنده زكريا بن
يحيى الوقار . قال ابن عدي : يضع الحديث ، ولا حديث شواهد كلها ضعيفة . =

وفي حديث آخر : « إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه »^(١) .
 وفيه : « لو كان نبي بعدي لكان عمر »^(٢) وكان علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه يقول : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . ثبت هذا
 عنه من رواية الشعبي^(٣) . وقال ابن عمر : ما كان عمر يقول في شيء :
 « إنني لأراه كذا ، إلا كان كما يقول . وعن قيس بن طارق قال : كنا
 نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك . وكان عمر يقول : اقتربوا من
 أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنه تنجلي لهم أمور صادقة .
 وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه ، أنها تنجلي للمطيعين ، هي الأمور التي بكشفها الله عز وجل لهم ،
 فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء في
 هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ؛ فإن خير
 هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر^(٤) .

= والذي في جاء في الترمذي : « لو كان نبي بعدي لكان عمر » . وهو حديث
 حسن . (١) رواه الترمذي بلفظ : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه »
 وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٢) رواه الترمذي ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » .

(٤) أخرج البخاري عن ابن عمر قال : كنا نخير الناس في زمن النبي

ﷺ ؛ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم .

وأخرج البخاري وأبو داود عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي رضي الله عنه =

وقد ثبت في « الصحيح » تعيين عمر ، بأنه محدّث في هذه الأمة
فأي محدّث ومخاطب فرض في أمة محمد ﷺ ، فعمراً أفضل منه ، ومع
هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع
له على ما جاء به الرسول ﷺ ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل
عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن
ذلك ، كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين ؛ والحديث
معروف في « البخاري » وغيره ، فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة
ست من الهجرة ، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة ، وهم الذين يبعوه
تحت الشجرة ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه
وبينهم ، على أن يرجع في ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط
لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر ، فشق ذلك على
كثير من المسلمين ، وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من
المصالحة ، وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبي ﷺ : يا رسول الله
ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » ، قال : أفليس قتلتنا
في الجنة وقتلناهم في النار ؟ قال : « بلى » ، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟
فقال له : النبي ﷺ : « إني رسول الله وهو ناصرني ، ولست
أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به ، قال :
= يا أبت ! أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر : قلت : ثم من ؟
قال : عمر ، وخشيت أن أقول : ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ، قال :
ما أنا إلا رجل من المسلمين .

«بلى»، قال: «أقلت لك: إنك تأتيه العام؟» قال لا. قال: «إنك آتية ومطوف به».

فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنها فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ. فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله وللنبي ﷺ من عمر، وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك، وقال: فعملت لذلك أعمالاً^(١).

وكذلك لما مات النبي ﷺ، أنكر عمر موته أولاً، فلما قال أبو بكر: إنه مات، رجع عمر عن ذلك^(٢).

(١) رواه البخاري في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (ج ٢٣٩/٣) (٢) روى البخاري عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنخ. قال إسماعيل: (هو شيخ البخاري) يعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وإيئتمنه لله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الخائف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات؛ ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) أخرجه البخاري عقب باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً. في المناقب (٦/٥).

وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر : كيف
نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا
مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألم
يقول : « إلا بحقها » فإن الزكاة من حقها ، والله لو منعوني عناقاً كانوا
يؤدونوها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو
إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق ^(١) .
ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر ، مع أن عمر رضي الله
عنه محدث ، فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث ، لأن الصديق
يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدث يأخذ عن
قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم ، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي
المعصوم ﷺ .

ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ،
ويناظرهم ويرجع اليهم في بعض الأمور ، ويناظره في أشياء فيحتاج
عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقرهم على منازعته ، ولا يقول
(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة . وفي مسلم بلفظ : لو منعوني عقالاً ،
بدل : عناقاً .

لهم : أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني ،
 فأى أحد ادعى ، أو ادعى له أصحابه أنه ولي الله ، وأنه مخاطب يجب على
 أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ويستموا له حاله من
 غير اعتبار بالكتاب والسنة ، فهو وهم مخطوون ، ومثل هذا أضل
 الناس ، فعمربن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ،
 وكان المسلمون ينازعونه ويمرضون ما يقوله ، وهو وهم على الكتاب
 والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله
 وبترك ، إلا رسول الله ﷺ .

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم ، فإن الأنبياء صلوات
 الله عليهم وسلامه ، يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز
 وجل ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء ، فإنهم لا تجب
 طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الايمان بجميع ما يخبرون به ، بل
 يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة
 وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً ، وإن كان صاحبه
 من أولياء الله ، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ،
 ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً ، وكان من الخطأ المغفور
 إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ، فإن الله تعالى يقول : (فاتقوا

الله ما استطعتم) (١).

وهذا تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق

تقاته) (٢).

قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته : أن بطاع فلا يمصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . أي بحسب استطاعتكم ، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، كما قال تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (٣) وقال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (٤) وقال تعالى : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها) (٥) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الإيمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع ، كقوله تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (٦) وقال تعالى : (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

(١) سورة التين ، الآية : ١٦ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ (٤) سورة الاعراف ، الآية : ٤٢

(٥) سورة الانعام ، الآية : ١٥٢ (٦) سورة البقرة ، الآية : ١٣٦

الذين يؤمنون بالغيب ، يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين
 يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون .
 أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (١) وقال تعالى :
 (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من
 آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه
 ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام
 الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء
 والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (٢) .

وهذا الذي ذكرته ، من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام
 بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع
 ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء
 الله عز وجل ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه
 الذين أمر الله باتباعهم ، بل إما أن يكون كافراً ، وإما أن يكون
 مفرطاً في الجهل .

وهذا كثير في كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني (٣) :

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١ - ٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٧٧

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني ، نسبة الى داريا ، قرية من

دمشق ، توفي سنة ٢١٥

أنه ليقع في قلبي النكته من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين :
الكتاب والسنة .

وقال أبو القاسم الجنيد^(١) رحمه الله عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب
والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ، لا يصلح له أن يتكلم في
علمنا ، أو قال : لا يقندي به .

وقال أبو عثمان النيسابوري : من أمر السنة على نفسه قولاً
وفعلًا ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلًا ، نطق
بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم : (وإن تطيعوه
تهتدوا)^(٢) .

وقال أبو عمر بن نجيد : كل وجند لا يشهد له الكتاب والسنة
فهو باطل .

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع ، فيظن في شخص أنه ولي
الله ، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يقوله
ويسلم إليه كل ما يفعله ، وإن خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك
الشخص له ، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أصله من نهاوند ،
ومولده بالعراق . تفقه على مذهب أبي ثور ، توفي سنة ٢٩٧

(٢) سورة النور ، الآية : ٥٤

الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ؛ وبين السعداء والأشقياء ، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين ، وجنده المفلحين ، وعباده الصالحين ، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين ، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال ، وآخراً إلى الكفر والنفاق ، ويكون له نصيب من قوله تعالى : (ويوم يبض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا ويلاتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولاً)^(١) وقوله تعالى : (يوم نقضب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً . ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)^(٢) وقوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبتروا منا كذلك

(١) سورة الفرقان ، الآيات : ٢٧-٢٩

(٢) سورة الاحزاب ، الآيات : ٦٦-٦٨

يربهم الله أعمالهم حسرات عليهم ومأم بخارجين من النار^(١) .
وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم : (اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا
إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)^(٢) .

وفي « المسند » وصححه^(٣) الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره
هذه الآية ، لما سأل النبي ﷺ عنها فقال : ما عبدوهم ، فقال النبي ﷺ
« أحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم وكانت هذه
عبادتهم إياهم » ولهذا قيل في مثل هؤلاء : إنما حرّموا الوصول بتضييع
الأصول ، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ
فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق ، إنسهم
وجنهم ، عربهم وعجمهم ، علماءهم وعبادهم ، ملوكهم وسوقتهم ، وأنه
لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطناً وظاهراً
حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه ،
كما قال تعالى : (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم انؤمنن به ولننصرنه قال أأقررتم
وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١٦٥ - ١٦٧ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٣١

(٣) الترمذي لم يصححه وإنما حسنه فقط وهو الصواب .

الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقد قال تعالى : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (٣) .

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ٨١ ، ٨٢

(٢) سورة النساء ، الآيات : ٦٥-٦٠

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول ، مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي الله ، فإنه بنى أمره على أنه ولي الله ، وأن ولي الله لا يخالف في شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله ، كأكبر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، لم يقبل منه ماخالف الكتاب والسنة ، فكيف إذا لم يكن كذلك ؛ وتجد كثيراً من هؤلاء ؛ عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض النصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحياناً ، أو يملاً أرباقاً من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يحتفي أحياناً عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه ، ففضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سُرقت لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله ، بل قد اتفق أولياء الله ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة ، وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله ، فقد

يكون عدواً لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة.

مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها، قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة، بل يكون ملابساً للنجاسات، معاشرراً للكلاب، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابيل، رأخته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا بتنظيف. وقد قال النبي ﷺ: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب^(١) » وقال عن هذه الأخلية: « إن هذه الحشوش محتضرة^(٢) » أي يحضرها الشيطان، وقال: « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تناذى مما يتأذى منه بنو آدم^(٣) ».

(١) أخرجه أبو داود والنسائي عن علي، ورجاله ثقات، إلا أن نجي - وهو أحد الرواة - لم يوثقه سوى العجلي، والحديث في « الصحيحين » دون قوله: « ولا جنب ». وروى أبو داود في « سننه »: « ثلاثة لا تقرهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق، والجنب إلا أن يتوضأ، وهو حديث حسن لطرقه. (٢) أخرجه أبو داود عن زيد بن أرقم، ورجاله ثقات. (٣) رواه مسلم بلفظ: « من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن » =

وقال : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً »^(١) وقال : « إن الله
 نظيف يحب النظافة »^(٢) وقال : « خمس من الفواسق يقتلن في الحل
 والحرم : الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور »^(٣) .
 وفي رواية : « الحية والعقرب » وأمر صلوات الله وسلامه عليه
 بقتل الكلاب^(٤) وقال : « من اقتنى كلباً لا يبغي عنه زرعاً ولا ضرعاً ،
 نقص من عمله كل يوم فيراط »^(٥) وقال : « لا تصحب الملائكة رفقة
 معهم كلب »^(٦) وقال : إذا واغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله ، سبع
 مرات إحداهن بالتراب »^(٧) .

وقال تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون
 ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي
 = مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، ورواه البخاري بلفظ :
 « من أكل بصلاً أو ثوماً فليعتزلنا ، أو « ليعتزل مسجدنا » ، ولفظة الخبيثتين
 وردت من قول عمر ، كما في « صحيح مسلم » .
 (١) رواه مسلم عن أبي هريرة . (٢) رواه الترمذي بلفظ : « إن الله تعالى
 طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة » ، وهو حسن . (٣) أخرجه مسلم
 بهذا اللفظ ، والبخاري بلفظ : « خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم :
 الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور » . (٤) ثبت أنه
 ﷺ أمر بقتل الكلاب ، ثم نهى عن ذلك واستثنى من النهي الكلب العقور ،
 والأسود البهم . (٥) متفق عليه ، عن سفيان بن أبي زهير . (٦) رواه مسلم ،
 وأبو داود ، والترمذي ، وأحمد ، عن أبي هريرة . (٧) رواه مسلم بلفظ :
 « أولاهن » ، ولفظة إحداهن وردت عند الدارقطني ، وإسنادها ضعيف .

الأي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف
وبنهام عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع
عنهم إصْرَهُمُ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١).

فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها
الشيطان ، أو بأوي إلى الحمامات والحشوش ، التي تحضرها الشياطين ،
أو يأكل الحيات والمقارب والزنابير ، وآذان الكلاب التي هي خبائث
وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ،
أو يدعو غير الله فيستغيث بال مخلوقات ، ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية
شيخة ، ولا يخص الدين لرب العالمين ، أو يلبس الكلاب أو النيران
أو بأوي إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو بأوي إلى المقابر ، ولا سيما
إلى مقابر الكفار ، من اليهود والنصارى ، أو المشركين ، أو بكره
سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر
سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء
الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا
القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٦ ، ١٥٧

فهو يبخض الله ورسوله .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر يذبت الايمان في القلب ، كما يذبت الماء البقل ، والغناء يذبت النفاق في القلب ، كما يذبت الماء البقل .

وإن كان الرجل خبيراً بمخافات الايمان الباطنة، فأرقاب الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم) ^(١) وقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً هدي به مانشأ من عبادنا) ^(٢) فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . قال الترمذي حديث حسن ^(٣) .

وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ (٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٢

(٣) وهو حديث حسن لغيره ، كما قال الهيثمي وغيره .

ورجله التي يمشي بها . [فبني يسمع ، وبني يبصر ، وبني يبطش ، وبني يمشي]^(١) ، ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، [ولا بد له منه]^(٢) .

فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الردي ، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجهان ، وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المنزي الكذاب ، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين ، وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيمة الكذاب ، والأشود العنسي ، وطاحه الأسدي ، والحارث الدمشقي ، وباباه الرومي ، وغيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين ، وأولياء الشيطان الضالين .

فصل

والحقيقة حقيقة الدين ، دين رب العالمين : هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج ، فالشرعة : هي الشريعة

(١) ما بين المربعين ليس من رواية البخاري .

قال الله تعالى (لعل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)^(١) وقال تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين)^(٢) والمنهاج : هو الطريق . قال تعالى : (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)^(٣) .

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر ، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه ، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وهي حقيقة دين الإسلام ، وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره ، فمن استسلم لغيره كان مشركا ، والله (لا يغفر أن يشرك به)^(٤) ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته ، كان ممن قال الله فيه : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)^(٥) .

ودين الاسلام هو دين الأولين والآخريين من النبيين والمرسلين . وقوله تعالى : (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه)^(٦) عام في كل زمان ومكان .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ (٢) سورة الجاثية ، الآيات : ١٨ ، ١٩

(٣) سورة الجن ، الآيات : ١٦ ، ١٧ (٤) سورة النساء ، الآية : ٢٨

(٥) سورة غافر ، الآية : ٦٠ (٦) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

فنوح وإبراهيم ومقوب والانسباط وموسى وعيسى
والحواريون ، كلهم دينهم الاسلام ، الذى هو عبادة الله وحده لا شريك
له . قال الله تعالى عن نوح : (يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي
وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم)^(١) إلى قوله :
(وأمرت أن أكون من المسلمين)^(٢) وقال تعالى : (ومن يرغب
عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في
الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين .
ووصى بها إبراهيم بنبيه ومقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا
تموتن إلا وأنتم مسلمون)^(٣) وقال تعالى : (وقال موسى لقومه يا قوم
إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)^(٤) .

وقال السحرة : (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين)^(٥) .

وقال يوسف عليه السلام : (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)^(٦) .

وقالت بلقيس : (أسلمت مع سليمان لله رب العالمين)^(٧) وقال

تعالى : (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون

(١) سورة يونس ، الآية : ٧١ (٢) سورة يونس ، الآية : ٧١

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ١٣٠ - ١٣٢

(٤) سورة يونس ، الآية : ٨٤ (٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٦

(٦) سورة يوسف ، الآية : ١٠١ (٧) سورة النمل ، الآية : ٤٤

والأخبار^(١) وقال الحواريون: (آمننا بالله واشهد بأنا مسلمون)^(٢).
 فدين الأنبياء واحد، وإن تنوعت شرائعهم، كما في «الصحيحين»
 عن النبي ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد» قال تعالى: (شرع
 لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا إليك وما وصينا به
 إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على
 المشركين ما تدعوم إليه)^(٣)، وقال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من
 الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وأن هذه أمتكم أمة
 واحدة وأنا ربكم فاتقون. فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما
 لديهم فرحون)^(٤).

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أولياء الله تعالى، على أن
 الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده
 السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، فقال تعالى: (ومن يطع الله والرسول
 فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤ (٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٢

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥١ - ٥٣

والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (١).

وفي الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » وأفضل الامم أمة محمد ﷺ قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (٢) وقال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) (٣). وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في « المسند » : « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » وأفضل أمة محمد ﷺ ، القرن الأول.

وقد ثبت عن النبي ﷺ ، من غير وجه أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، وهذا ثابت في « الصحيحين » من غير وجه .

وفي « الصحيحين » أيضاً عنه ﷺ أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه » .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، أفضل من سائر الصحابة .

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٩

(٣) سورة فاطر ، الآية : ٣٢

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠

قال تعالى : (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل
 أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله
 الحسنى)^(١) وقال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
 والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)^(٢) والسابقون
 الأولون : الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، والمراد بالفتح : صالح
 الحديبية فإنه كان أول فتح مكة ، وفيه أنزل الله تعالى : (إنا فتحنا لك
 فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)^(٣) فقالوا : يا رسول
 الله أو فتح هو ؟ قال : « نعم » .

وأفضل السابقين الأولين ، الخلفاء الأربعة ، وأفضاهم أبو بكر
 ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان
 وأئمة الأئمة وجاهيرها ، وقد دلت على ذلك دلائل ، بسطناها في « منهاج
 أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية » .

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة ، على أن أفضل هذه
 الأئمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل
 من الصحابة . وأفضل أولياء الله تعالى ، أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٠ (٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

(٣) سورة الفتح ، الآيات : ١ ، ٢

واتباعاً له ، كالصحابية الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه ،
وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملاً به ، فهو أفضل أولياء
الله ، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ
وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه .

وقد ظن طائفة غالطة ، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء ،
قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم
الأولياء ، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي ، فإنه صنف مصنفاً غلط فيه
في مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم
الأولياء ، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء
من جهة العلم بالله ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته ، كما زعم
ذلك ابن عربي صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص» ،
فخالف الشرع والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما
يقال لمن قال : فخر عليهم السقف من تحتهم : لا عقل ولا قرآن .

وذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة ،
والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف
الأنبياء كلهم ؟! والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله من يأتي بعدهم ،
ويدعي أنه خاتم الأولياء ، وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما أن آخر
الأنبياء أفضلهم ، فإن فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك ،

كقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقوله: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، أن لا أفتح لأحد قبلك».

وليلة المعراج، رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم، فكان أحقهم بقوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) (١) إلى غير ذلك من الدلائل، كل منهم بأئيه الوحي من الله، لاسيما محمد ﷺ، لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره، فلم تحتاج شريعته إلى سابق، ولا إلى لاحق، بخلاف المسيح، أحاطهم في أكثر الشريعة على التوراة، وجاء المسيح فأكملها، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح، كالتوراة والزبور، وتام الأربع وعشرين نبوة، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى محدثين، بخلاف أمة محمد ﷺ، فإن الله أغنام به، فلم يحتاجوا معه إلى نبي، ولا إلى محدث، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقته في غيره من الأنبياء، فكان ما فضله الله به بما أنزله إليه، وأرسله إليه، لا بتوسط بشر.

وهذا بخلاف الأولياء، فإن كل من بلغه رسالة محمد ﷺ،

لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد ﷺ ، وكل ما حصل له من الهدى
ودين الحق ، هو بتوسط محمد ﷺ ، وكذلك من بلغه رسالة رسول
إليه ، لا يكون ولياً لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه .
ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ، من
له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهذا كافر ملحد ، وإذا قال أنا
محتاج إلى محمد في علم الظاهر ، دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة ،
دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمداً
رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب ، فإن أولئك آمنوا ببعض ،
وكفروا ببعض ، فكانوا كفاراً بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول :
إن محمداً بعث بعلم الظاهر ، دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به ،
وكفر ببعض ، فهو كافر ، وهو أكفر من أولئك ، لأن علم الباطن ،
الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق
الايان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة .
فاذا ادعى المدعي ، أن محمداً ﷺ ، إنما علم هذه الأمور
الظاهرة ، دون حقائق الايمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب
والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ، دون
البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أومن ببعض ، وأكفر ببعض ،
ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به ، أدنى القسمين .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبسون على للناس، فيقولون: ولايته أفضل من نبوته، وينشدون:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم، فإن ولاية محمد لم يمانه فيها أحد، لا إبراهيم ولا موسى، فضلاً عن إيمان نلّة فيها هؤلاء الملحدون.

وكل رسول نبي ولي، فالرسول نبي ولي، ورسالته متضمنة لنبوته، ونبوته متضمنة لولايته، وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله، فهذا تقدير ممتنع، فانه حال إنبائه إياه، ممتنع أن يكون إلا ولياً لله، ولا تكون مجردة عن ولايته، ولو قدرت مجردة، لم يكن أحد مماثلاً للرسول في ولايته.

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب «الفصوص» ابن عربي: إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا: إن الافلاك قديمة أزلية، لها علة تشبه بها، كما يقوله أرسطو وأبناؤه: أو لها موجب بذاته، كما يقوله متأخروهم، كابن سينا، وأمثاله، ولا يقولون: إنها رب خلق

السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل إما أن ينكروا علمه مطلقاً ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقيقة هذا القول ، إنكار علمه بها ، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الأفلاك ، كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ؛ فن لم يعلم إلا الكلليات ، لم يعلم شيئاً من الموجودات ، والكلليات إنما توجد كليات في الأذهان ، لا في الأعيان .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر ، في رد تعارض العقل والنقل وغيره ، فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ، بل ومشركي العرب ، فإن جميع هؤلاء يقولون : إن الله خلق السموات والأرض ، وإنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته .

وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان ، كانوا يبدون الكواكب والأصنام ، وهم يعرفون الملائكة والأنبياء ، وإيس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية .

وأما الأمور الإلهية ، فكل منهم فيها قليل الصواب ، كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيات منهم

بكثير، ولكن متأخروهم كابن سينا [وغيره] أرادوا أن يلقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة ، وركبوا مذهباً قد يمتزى إليه متفلسفة أهل الملل ، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نهنا على بعضه في غير هذا الموضوع .

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل ، كعيسى وعيسى ومحمد ﷺ قد بهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذي بعث به محمد ﷺ ، أعظم ناموس طرق العالم ، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك ، وبين أقوال سلفهم اليونان ، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة ، يسمونها : المجردات ، والمفارقات .

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن ، وسموا تلك : المفارقات ، لمفارقتها المادة ، وتجردها عنها . وأثبتوا الأفلاك ، لكل فلك نفساً ، وأكثرهم جعلوها أعراضاً ، وبعضهم جعلها جواهر .

وهذه المجردات التي أثبتوها ، ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان ، لا في الأعيان [كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعداداً مجردة ، و] كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية المجردة ، أثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ، ومدة وخلاء مجردين ، وقد

اعترف حذآتهم ، بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان ، لا في الأعيان ؛ فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ، كابن سينا ، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة ، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة ، من انصف بها فهو نبي :

١ - أن تكون له قوة علمية ، يسمونها القوة القدسية ، ينال بها العلم بلا تعلم .

٢ - وأن يكون له قوة تخيلية ، تخيل له ما يعقل في نفسه ، بحيث يرى في نفسه صوراً ، أو يسمع في نفسه أصواتاً ، كما يراه النائم وبسمة ، ولا يكون لها وجود في الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله ، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى .

٣ - وأن يكون له قوة فعّالة ، يؤثر بها في هبولى العالم ، وجملوا معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، وخوارق السحرة ، هي [من] قوى الأنفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم ، من قلب العصا حية ، دون انشقاق القمر ونحو ذلك ، فانهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع ، وبيننا أن كلامهم هذا أفسد الكلام ، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي تحصل ما هو

أعظم منه لا آحاد العامة ، ولا تباع الأنبياء ، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل ، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله ، وهم كثيرون ، كما قال تعالى : (وما يعلم جنود ربك إلا هو)^(١) وليسوا عشرة ، وليسوا أعراضاً ، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو العقل الأول ، وعنه صدر كل مادونه ، والعقل الفعّال العاشر ، رب كل ماتحت فلك القمر .

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله . وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور في حديث يروي : « إن أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزّي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ، فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه أيضاً القلم لما روي « إن أول ما خلق الله القلم » الحديث رواه الترمذي^(٢) .

والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي ، والدارقطني ، وابن الجوزي ، وغيرهم . وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ،

(١) سورة المدثر ، الآية : ٣١

(٢) وهو حديث صحيح أخرجه أحمد ، والترمذي وصححه .

ومع هذا فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم ، فان لفظه « أول ما خلق الله تعالى العقل » قال : - ويروى - « لما خلق الله العقل قال له .. »^(١) ، فعنى الحديث أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، وليس معناه أنه أول المخلوقات (وأول) منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر (لما) وتمام الحديث « ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك » فهذا يقتضي أنه خلق قبل غيره ، ثم قال : « فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض . وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان ، فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل

(١) أخرج عبد الله ابن الامام أحمد في « زوائد المسند » قال : حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن يرفعه : « لما خلق الله تعالى العقل قال له : أقبل فأقبل ؛ ثم قال له : أدبر فأدبر . قال : ما خلقت خلقاً أحب إلي منك ، بك آخذ وبك أعطي ، وهو مرسل وهو في « معجم الطبراني الاوسط » موصول من حديث أبي أمامة وأبي هريرة باسنادين ضيفين ، وما يحسن التنبيه عليه أن كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصح منها شيء ، وهي تدور بين الضعف والوضع .

وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » عن داود بن المخبر بضعاً وثلاثين حديثاً في فضل العقل . قال الحافظ ابن حجر : كلها موضوعة . وقال ابن القيم في « المنار » ص (٢٥) أحاديث العقل كلها كذب .

يعقل عقلاً ، كما في القرآن (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)^(١) (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)^(٢) (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها)^(٣) ويراد بالعقل الفريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها .

وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعقل ، وليس هذا مطابقاً للغة الرسل والقرآن ، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الأجسام : العقل والنفوس ، فيسميها عالم الأحرار ، وقد يسمي (العقل) عالم الجبروت (والنفوس) عالم الملكوت ، و(الأجسام) عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك .

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبيساً كثيراً كاطلاقهم أن الفلك محدث ، أي معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون إلا مسبوقاً بالعدم ، ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلي :

(٢) سورة الرعد ، الآية ٤٠

(١) سورة تبارك ، الآية : ١٠

(٣) سورة الحج ، الآية : ٤٦

محدثنا، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء . وكل مخلوق فهو محدث، وكل محدث كائن بمد أن لم يكن، لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمرتلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول، ولا أحكموا فيها قضايا العقول، فلا الاسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، ونازعوهم في بعض المقولات الصحيحة، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وهؤلاء المتفلسفة قد يحملون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ، والخيال تابع للعقل، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة، كابن عربي صاحب «الفتوحات» و«الفصوص» . فقال: إنه يأخذ من الممدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول، والممدن عنده هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابع للعقل، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي، ولو كان خاصة النبي ما ذكروه، ولم يكن هو من جنسه، فضلاً عن أن يكون فوقه، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين؟! والنبوة أمر وراء ذلك، فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من

الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة، كالفصيل بن عياض، وإبراهيم بن آدم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء، كقوله تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)^(١) وقال تعالى: (وكم من ملك في السموات لا تنغي شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)^(٢) وقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يعلكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)^(٣) وقال تعالى: (وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون)^(٤).

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦-٢٩ (٢) سورة النجم، الآية: ٢٦

(٣) سورة سبأ، الآيات: ٢٢، ٢٣ (٤) سورة الانبياء، الآيات: ١٩، ٢٠

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر، وأن الملك تمثل لمريم بشراً سوياً، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي، ويرام الناس كذلك.

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة (عندذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) (١) وأن محمداً ﷺ (رآه بالأفق المبين) (٢) ووصفه بأنه (شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يفتشى السدرة ما يفتشى . مازع البصر وما تفتى . لقد رآه من آيات ربه الكبرى) (٣).

وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين، يعني المرة الأولى بالأفق الأعلى، والنزلة الأخرى عند سدرة المنتهى. ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين، وأنه روح

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٠، ٢١ (٢) سورة التكوير، الآية: ٢٣

(٣) سورة النجم، الآيات: ٥٠-١٨

القدس ، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس خيالاً في نفس النبي ، كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ، والمدعون ولاية الله وأنهم أعلم من الأنبياء .

وغاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الإيمان ، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فان الموجودات تشترك في مسمى الوجود ، كما تشترك الأناسي في مسمى الانسان ، والحيوانات في مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلبي لا يكون مشتركاً كلياً إلا في الدهن ، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود الساعات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذي عطل الصانع ، فانه لم يكن منكرأ هذا الوجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لاصانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ، لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أصل منه ، وإن كان قوله هذا هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عبادة

الاصنام ما عبدوا إلا الله، وقالوا: لما كان فرعون في منصب التحكيم صاحب السيف - وإن جاز في العرف الناموس - لذلك قال: أنا ربكم الأعلى - أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما، فأنا الأعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم.

قالوا: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله، أفروا له بذلك وقالوا: (افض ما أنت قاض وإنما تقضي هذه الحياة) ^(١) قالوا: فصح قول فرعون: (أنا ربكم الأعلى) ^(٢).

وكان فرعون عين الحق، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر، فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر، وبلائكته وكتبه ورسله، مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله، وأنهم أفضل من الأنبياء وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم.

وليس هذا موضع بسط إلحاد هؤلاء، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاءً لولاية الله، وهم أعظم الناس ولاية للشيطان، نهنا على ذلك، ولهذا عامة كلامهم، إنما هو في الحالات

(١) سورة طه، الآية: ٧٧ (٢) سورة النازت، الآية: ٢٤

الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب « الفتوحات » (باب أرض الحقيقة) ويقولون : هي أرض الخيال .

فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فان الشيطان يخيل للانسان الأمور بخلاف ما هي .

قال تعالى : (ومن يمش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون)^(١) وقال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً)^(٢) إلى قوله : (يعدم ويعنيهم وما يعدم الشيطان إلا غوراً)^(٣) وقال تعالى : (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين عذاب أليم)^(٤) وقال تعالى : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٣٦ - ٣٩ (٢) سورة النساء ، الآية : ١١٦

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٠ (٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٢

الفتنان نكص على عقبيه وقال إني بري منكم إني أرى ملا ترون
إني أخاف الله والله شديد العقاب^(١).

وقد روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح : أنه رأى
جبريل يزع الملائكة^(٢) ، والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد
بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته .

قال تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا)^(٣) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ
جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها)^(٤) وقال تعالى : (إذ
يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده
بجنود لم تروها)^(٥) وقال تعالى : (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفبكم أن
يدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا

(١) سورة الانفال ، الآية : ٤٨

(٢) في « موطأ مالك » باب جامع الحج ، عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن
رسول الله ﷺ قال : ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصفر ولا أدهر ولا أحقر
ولا أعبط منه في يوم عرفة ، وما ذلك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله
عن الذنوب المظالم إلا ما أرى يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟
قال : وأما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة ، أي يصفهم للقتال وهو حديث مرسل .

(٣) سورة الانفال ، الآية : ١٢ (٤) سورة الاحزاب ، الآية : ٩

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

وتتقوا وبأنوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين^(١).

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتمثل لهم، وهي جن وشياطين، فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام.

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام: المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير^(٢)» وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس إن المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالا: صدق، قال الله تعالى: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفك أنيم)^(٣).

وقال الآخر: وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: قال الله تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم)^(٤).

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) رواه مسلم بلفظ: «أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، والمبير: المهلك».

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) سورة الانعام، الآية: ١٢١.

وهذه الأرواح الشيطانية ؛ هي الروح الذي يزعم صاحب « الفتوحات » أنه ألقى إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين، وشي معين، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء، وإعنا هو من الأحوال الشيطانية، وأعرف من هؤلاء عدداً، ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق، تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت تدله على السرقات بحمل يحصل له من الناس أو لعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك.

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية؛ كانوا مناقضين للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص » وأشبه ذلك يمدح الكفار، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، وينتقص الأنبياء، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين، كالجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري وأمثالهما. ويمدح المذمومين عند المسلمين، كالخلج ونحوه؛ كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية، فإن الجنيد - قدس الله روحه - كان من أئمة الهدى، فستل عن التوحيد فقال :

التوحيد أفراد الحدوث عن القدم . فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث ، وبين الخالق والمخلوق .

وصاحب « الفصوص » أنكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : يا جنيد اهل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون غيرها ؟ فخطأ الجنيد في قوله : أفراد الحدوث عن القدم ، لأن قوله هو : إن وجود المحدث هو عين وجود القديم ، كما قاله في « فصوصه » :
ومن أسمائه الحسنی : (العلي) على من ؟ وما ثم إلا هو . وعن ماذا ؟ وما هو إلا هو ، فملؤه لنفسه وهو عين الموجودات ، فالمسمى بمحدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ... إلى أن قال :

هو عين ما بطن ، وهو عين ما ظهر ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من ينطق عنه سواه ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، وغير ذلك من الأسماء المحدثات .

فيقال لهذا الملحد : من شرط المميز بين الشيتين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما ، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره ، وليس هو ثالثاً ، فالعبد يعرفه أنه عبد ، ويميز بين نفسه خالقه ، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم ، وأهم عبادهم ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً .

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه النيساباني منهم ؛ وهو أحدقهم في اتحادهم - لما قرئ عليه « الفصوص » فقبل له : القرآن يخالف « فصوصكم » فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد من كلامنا . فقبل له فإذا كان الوجود واحداً ، فلم كانت الزوجة حلالاً والآنح حراماً ؟ فقال : السكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم .

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهرأ ، فإن الوجود إذا كان واحداً ، فن المحجوب ومن الحاجب ؟ ولهذا قال شيوخهم لمريده : من قال لك : إن في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له مريده : فن هو الذي يكذب ؟ وقالوا الآخر : هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر غير المظاهر ، أم هي ؟ فإن كانت غيرها فقد قلم بالنسبة ، وإن كانت إياها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ؛ وبيننا حقيقة قول كل واحد منهم ، وإن صاحب « الفصوص » بقول : الممدوم شي ، ووجود الحق فاض عليها ، فيفرق بين الوجود والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : الممدوم شي ثابت في الخارج مع ضلالهم

خير منه، فإن أوائلك قالوا: إن الرب خلق لهذه الأشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليهما، فليس عنده وجود مخلوق مبان لوجود الخالق، وصاحبه المصدر القانوني يفرق بين المطلق والمدين، لأنه كان أقرب إلى الفلاسفة، فلم يقر بأن المعدم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود.

وهذا القول أدخل في تمطيل الخالق وعدمه، فإن المطلق بشرط الإطلاق، وهو السكلي العقلي، لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان، والمطلق لا بشرط، وهو السكلي الطبيعي. وإن قيل: إنه موجود في الخارج، فلا يوجد في الخارج إلا معيناً، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج، فيلزم أن يكون وجود الرب، إما منتفياً في الخارج، وإما أن يكون جزءاً من وجود المخلوقات، وإما أن يكون عين وجود المخلوقات. وهو يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه؟ أم العدم يخلق الوجود؟ أو يكون بهض الشيء خالقاً لجميعة؟

وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول لأنه يقتضي حالاً ومحلاً، ومن لفظ الاتحاد، لأنه يقتضي شيئين متحد أحدهما بالآخر، وعندم الوجود

واحد ويقولون: النصراني كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله، ولو عمموا لما كفروا.

و كذلك يقولون في عباد الاصنام: إنما أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم، والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام.

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم، ففيه ما يلزمهم دائماً من التناقض، لانه يقال لهم: فمن المخطئ؟ لكنهم يقولون: إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق، ويقولون: إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ويقولون ما قاله صاحب «الفصوص»: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النوعات الوجودية والنسب العدمية، سواء كانت محمودة عرفاً أو عقلاً أو شرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة.

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض، فانه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذلك، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني: إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل. ويقولون: من أراد التحقيق - يعني تحقيقهم - فليترك العقل والشرع.

وقد قلت لمن خاطبته منهم: ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم

وَأَمَّ مِنْ كَشْفِ غَيْرِهِمْ ، وَخَبَرِهِمْ أَصْدَقَ مِنْ خَبَرِ غَيْرِهِمْ ، وَالْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ يُخْبِرُونَ بِمَا تَمْجِزُ عُقُولُ النَّاسِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ لِأَنَّهَا يَعْرِفُ النَّاسَ بِمَقُولِهِمْ أَنَّهُ مَمْتَنِعٌ ، فَيُخْبِرُونَ بِمَجَازَاتِ الْعُقُولِ لِأَنَّهَا مَحَالَاتُ الْعُقُولِ ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي أَخْبَارِ الرَّسُولِ مَا يَنَاقِضُ صَرِيحَ الْعُقُولِ ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَتَعَارِضَ دَلِيلَانِ قَطْعِيَانِ ، سِوَاهُ كَانَا عَقْلِيَيْنِ أَوْ مَسْمُوعِيَيْنِ ، أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا عَقْلِيًّا وَالْآخَرُ مَسْمُوعِيًّا ، فَكَيْفَ بِنِ ادْعَى كَشْفًا يَنَاقِضُ صَرِيحَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ ؟!

وهؤلاء قد لا يعتمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبسات الشياطين .

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقدمون الأولياء على الأنبياء ، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع ، كما يذكر عن ابن سبئين وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة : يقولون : العبد يشهد أولاً طاعة وممصية ، ثم طاعة بلا مصية ، ثم لاطاعة ولا مصية ، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر ، كما أن بعض هؤلاء يقول : أنا كافر برب

بمعنى، وهذا يزعم أن المعصية: مخالفة الإرادة التي هي المشيئة، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة. ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلًا لما تختاره مني ففعلني كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، فإن المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب، مخالفة أمر الله ورسوله، كما قال تعالى: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)^(١) وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية، والأمر الكوني والديني

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية، فبينها الجنيد رحمه الله لهم، فمن أتبع الجنيد فيها كان على السداد، ومن خالفه ضل، لأنهم تكلفوا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود هذا التوحيد، وهذا يسمونه الجمع الأول، فبين لهم الجنيد أنه لا بد من شهود الفرق الثاني، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقها، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه، ويفرق بين أوليائه وأعدائه، كما

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤

قال تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون)^(١) .
 وقال تعالى : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في
 الارض أم نجعل المتقين كالفجار)^(٢) . وقال تعالى : (أم حسب الذين
 اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء
 محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)^(٣) . وقال تعالى : (وما يستوي الأعمى
 والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسي قليلاً
 ما نتذكرون)^(٤) .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء
 وربّه ومليكه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا رب غيره، وهو مع
 ذلك أمر بالطاعة، ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد، ولا
 يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، وإن كانت واقعة بمشيئته،
 فهو لا يحبها، ولا يرضاها، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم .

وأما المرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا ممصية، فانه يرى
 أن الوجود واحد، وعندما أن هذا غاية التحقيق والولاية لله ؛ وهو
 في الحقيقة غاية الالحاد في أسماء الله وآياته، وغاية المداوة لله، فان

(١) سورة القلم ، الآيات : ٣٦، ٣٥

(٢) سورة ص ، الآية : ٢٨

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢١

(٤) سورة غافر ، الآية : ٥٨

صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ،
وقد قال تعالى : (ومن يتولاهم منهم فإنه معهم)^(١) ولا يتبرأ من
الشرك والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه
عليه ، قال الله تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين
معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)^(٢) ،
وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين : (أفرايتم ما كنتم تعبدون .
أنتم وآبائكم الأقدمون . فإنهم عدو لي إلا رب العالمين)^(٣) ، وقال
تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ
الله ورسوله ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك
كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)^(٤) ، وهوؤلاء قد صنف
بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة
بنظم السلوك ، بقول فيها :

لها صلواتي في المقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصلٍ واحدٌ ساجدٌ إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلتى سواي ولم تكن	صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) سورة المنتحضة ، الآية : ٤

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧ (٤) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

إلى أن قال :

وما زلت إياها وإيائي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلّت
إلي رسولاً كنت مني مرسلًا وذاتي بآياتي عليّ استدلّت
فان دعيت كنت المجيب وإن أكن
منادى أجابت من دعائي ولبّيت

إلى أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت

ينشد ويقول :

إن كان منزلاتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيّعت أبيائي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنًا واليوم أحسبها أضغاث أحلامي
فانه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض
روحه ، تبين بطلان ما كان يظنه ، وقال الله تعالى : (سبح لله ما في
السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)^(١) ، فجميع ما في السموات
والأرض يسبح لله ، ليس هو الله ، ثم قال تعالى : (له ملك السموات
والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخِر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)^(٢) .

(٢) - سورة الحديد ، الآيتان : ٢ ، ٣

(١) سورة الحديد ، الآية : ١

وفي « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه :
 « اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل
 شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك
 من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء ،
 وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء . وأنت
 الباطن فليس دونك شيء » انض عني الدين ، وأغنني من الفقر .

ثم قال : (هو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام ثم
 استوى على العرش يعلم ما بلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل
 من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أيما كنتم والله بما تعملون
 بصير)^(١) فذكر أن السماوات والارض ، وفي موضع آخر : (وما
 بينهما) مخلوق مسبح له ، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء .

وأما قوله : (وهو معكم) فلفظ (مع) لا تقتضي في لغة العرب
 أن يكون أحد الشيتين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى : (اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين)^(٢) ، وقوله تعالى : (محمد رسول الله والذين
 معه أشداء على الكفار)^(٣) ، وقوله تعالى : (والذين آمنوا من بعد
 وهاجروا وجاهدوا معكم فأوائتكم منكم)^(٤) ، ولفظ (مع) جاءت

(١) سورة الحديد ، الآية : ٤ (٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٩

(٣) سورة الفتح ، الآية : ١٩ (٤) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥

في القرآن عامة وخاصة ، فالعامة في هذه الآية وفي آية المجادلة : (ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)^(١) ، فافتتح الكلام بالعلم ، وختمه بالعلم ، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه .

وأما المعية الخاصة ، ففي قوله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)^(٢) ، وقوله تعالى لموسى : (إني معكما أسمع وأرى)^(٣) ، وقال تعالى (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)^(٤) يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين .

فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان ، تناقض الخبر الخاص والخبر العام ؛ بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك ، وقوله تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)^(٥) أي هو

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٨

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٧

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

(٣) سورة طه ، الآية : ٤٦

(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٨٤

إله من في السماوات وإله من في الأرض كما قال تعالى : (وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم)^(١) ، وكذلك قوله تعالى : (وهو الله في السماوات وفي الأرض)^(٢) ، كما فسره أئمة العلم ، كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السماوات والأرض .

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما ووصف به نفسه ، وبما ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكبير ولا تمثيل ، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثل شي ، ولا كقوله ، في شي من صفات الكمال ، كما قال الله تعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد)^(٣) . قال ابن عباس : الصمد العليم الذي كمل في علمه ، العظيم الذي كمل في عظيمته ، التقدير الكامل في قدرته ، الحكيم الكامل في حكمته ، السيد الكامل في مؤدده .

وقال ابن مسعود وغيره : هو الذي لا جوف له ، والأحد : الذي لا نظير له . فاسمه (الصمد) يتضمن اتصافه بصفات الكمال ، ونفي النقائص عنه ، واسمه (الأحد) يتضمن اتصافه أنه لا مثيل له .

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٧ (٢) سورة الانعام ، الآية : ٣

(٣) سورة الاخلاص

وقد بسطنا الكلام على تفسير ذلك في هذه السورة وفي كونها
تعدل ثلث القرآن .

فصل

وكثير من الناس نشبته عليهم الحقائق الأخرية الدينية الايمانية
بالحقائق الخلقية القدرية الكونية ، فان الله سبحانه وتعالى له الخلق
والأمر ، كما قال تعالى : (إن ربكم الذي خلق السماوات والأرض في
سنة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب
العالمين)^(١) ، فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه ، لا خالق
غيره ، ولا رب سواه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فكل ما في
الوجود من حر كهُ وسكون ، فبفضائه وقدره ومشيتنه وقدرته وخلقته ،
وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته ومعصية
رسله ، أمر بالتوحيد والاخلاص ، ونهى عن الاشرار بالله ، فأعظم
الحسنات التوحيد ، وأعظم السيئات الشرك . قال الله تعالى : (إن الله
لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(٢) ، وقال تعالى :

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٥٤ (٢) سورة النساء ، الآية : ١١٦

(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) (١).

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت :
يا رسول الله ! أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجمل لله ندأ وهو خلقك »
قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت :
ثم أي ؟ قال : « أن تزني بحليلة جارك » ، فأنزل الله تصديق ذلك :
(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب
يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً
فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (٢).

وأمر سبحانه بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، ونهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى ، وأخبر أنه يحب المتقين ، ويحب المحسنين ،
ويحب المفسطين ، ويحب التوابين ، ويحب المنطهرين ، ويحب الذين
يقاتلون في سبيله صفاء كأنهم بنيان مرصوص ، وهو بيكره ما نهى
عنه ، كما قال في سورة (سبحان) : (كل ذلك كان سيئته عند ربك
مكروهاً) (٣).

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ (٢) سورة الفرقان ، الآيات : ٦٨-٧٠

(٣) سورة الاسراء ، الآية : ٢٨

وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذي القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقدير ، وأن يجعل يده مغلولة إلى عنقه ، وأن يبسطها كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير الحق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . إلى أن قال : (كل ذلك كان سيئته عند ربك مكروهاً) (١) .

وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائماً قال الله تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (٢) .

وفي « صحيح البخاري » عن النبي ﷺ أنه قال : (أيها الناس توبوا إلى ربكم ، فوالذي نفسي بيده إنني لأستغفر الله وأنوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » .

وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .

وفي « السنن » عن ابن عمر قال : كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد بقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التوّاب »

(٢) سورة النور ، الآية : ٢١

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٣٨

الرحيم، مائة مرة»^(١) أو قال: «أكثر من مائة مرة»

وقد أمر الله سبحانه أن يحتموا الأعمال الصالحات بالاستغفار، فكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثاً ويقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»^(٢). كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه وقد قال تعالى: (والمستغفرين بالأسحار)^(٣) فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار.

وكذلك ختم سورة (المزمل) وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى: (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم)^(٤).

وكذلك قال في سورة «الحج»: (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين. ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم)^(٥).

بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزا النبي ﷺ

(١) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن

صحيح غريب.

(٢) أخرجه مسلم عن ثوبان

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧ (٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٩

غزوة تبوك وهي آخر غزواته (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأَنْصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)^(١) وهي من آخر ما نزل من القرآن .

وقد قيل : إن آخر سورة نزلت قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)^(٢) فأمره الله تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي » - بتأول القرآن .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه كان يقول : « اللهم اغفر لي خطيئتي ، وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي هزلي وجدي ، وخطئي ، وعمدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي »

(١) سورة التوبة ، الآيات : ١١٧ - ١١٨

(٢) سورة النصر

ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، لا إله إلا أنت .
 وفي « الصحيحين » أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال :
 يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال : قل : « اللهم إني ظلمت
 نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك
 وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »

وفي « السنن » عن أبي بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله !
 علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت ، فقال : « قل : اللهم فاطر
 السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ،
 أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان
 وشركه ، وأن أترف على نفسي سوءاً ، أو أجره إلى مسلم . قلّه إذا
 أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك ^(١) .

فليس لأحد أن يظن استغناؤه عن التوبة إلى الله والاستغفار
 من الذنوب ؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً قال الله تبارك وتعالى :
 (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً . ليمذب الله المنافقين والمنافقات
 والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله
 غفوراً رحيماً) ^(٢) .

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الاحزاب ، الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .

فالإِنسان ظالم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

ونبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » قالوا : « ولا أنت يا رسول الله ؟ » قال : « ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل »^(١) . وهذا لا ينافي قوله : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)^(٢) ، فإن الرسول ﷺ نفى باء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت باء السبب .

وقول من قال : إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب ، معناه أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصرّ على الذنوب ، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصرّ عليها ، فهو ضالٌّ مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع السلف والأئمة ؛ بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكظامين الفيض والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

(١) رواه البخاري ومسلم (٢) سورة الحاقة ، الآية : ٢٤

ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١).

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) (٢) قال الله تعالى رداً عليهم: (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تحرضون قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) (٣).

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذب الله المكذبين المرسل، كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات، وقوم فرعون، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين، ولا يمتنع أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الدم والعقاب، فعليه أن لا يذم أحداً ولا بمسايقه إذا اعتدى عليه، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم، فلا يفرق بين من يعمل معه خيراً ولا بين من يفعل معه شراً، وهذا ممنوع طبعاً وعقلاً وشرعاً. وقد قال تعالى: (أم نجمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٣٣-١٣٥ (٢) سورة الانعام، الآية: ١٤٨

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٨، ١٤٩

أم نجعل المتقين كالفجار) ^(١) ، وقال تعالى : (أفجعل المسلمين كالجرمين) ^(٢) ، وقال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) ^(٣) ، وقال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) ^(٤) ، وقال تعالى : (أيعسب الإنسان أن يترك سدى) ^(٥) أي مهملًا لا يؤمر ولا يُنهى .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم ! أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده ؟ فبكم وجدت مكتوباً عليّ قبل أن أخلق : (وعصى آدم ربه فغوى) ^(٦) ؟ قال : بأربعين سنة ؟ قال : فلم تلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن أخلق بأربعين سنة ؟ قال : فحج آدم موسى ، أي غلبه بالحجة .

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة ص ، الآية : ٢٨ | (٢) سورة القلم ، الآية : ٣٥ |
| (٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢١ | (٤) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ |
| (٥) سورة القيامة ، الآية : ٣٦ | (٦) سورة طه ، الآية : ١٢١ |

وهذا الحديث ضلّت فيه طائفتان : طائفة كدّبت به لماظنوا أنه يقضي رفع الذم والعقاب عن عصى الله لأجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه ، أو الذين لا يرون أن لهم فعلاً ، ومن الناس من قال : إنا حجج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قد تاب ؛ أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى ، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى ، وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة ، فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنباً وتاب منه ، فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يُلام ، وهو قد تاب منه أيضاً ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين) (١) .

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ، قال الله تعالى : (فاصبر إن وعد الله حقٌ واستغفر لذنبك) (٢) ، فأمره بالصبر على المصائب ، والاستغفار من المعائب .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٣ (٢) سورة غافر ، الآية : ٥٥

وقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (١) . قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

فالْمُؤْمِنُونَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مِصِيبَةٌ مِثْلَ الْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَالذَّلِّ ، صَبَرُوا لِحُكْمِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذَنْبٍ غَيْرِهِمْ ، كَمَنْ أَنْفَقَ أَبُوهُ مَالَهُ فِي الْمَعَاصِي فَانْقَرَّ أَوْلَادُهُ لِذَلِكَ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَصْبِرُوا لِمَا أَصَابَهُمْ ، وَإِذَا لَامُوا الْآبَ لِحُظُوظِهِمْ ، ذَكَرَ لَهُمُ الْقَدَرُ .

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضى بحكم الله ، والرضى قد قيل : إنه واجب ، وقيل : هو مستحب ، وهو الصحيح ، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها ، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياهم ، ورفع درجاته ، وإنابته إلى الله وتضرعه إليه ، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين .

وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، وَيُضَيِّفُونَ الْحَسَنَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهَا ، كَمَا قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : أَنْتَ عِنْدَ الطَّاعَةِ قَدْرِي ، وَعِنْدَ الْمَعْصِيَةِ جَبْرِي ، أَيُّ مَذْهَبٍ وَافِقٌ هَؤُلَاءِ تَمَذَّهَبَتْ بِهِ .

وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة ، شهدوا بإنعام الله عليهم بها ،

وأنه هو الذي أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة ،
 وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ، فزال عنهم بشهود
 القدر العُجُوب والمن والأذى ، وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا
 إليه منها .

ففي « صحيح البخاري » عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله
 ﷺ : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا
 أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ
 بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه
 لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها إذا أصبح موقناً بها فمات من
 ليلته دخل الجنة . »

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ
 فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم
 على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي إنكم تخطؤون
 بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي ، فاستغفروني أغفر لكم .
 يا عبادي كل لكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي
 كل لكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم . يا عبادي كلكم ضال
 إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي إنكم لن تبغوا ضري

فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في
ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على
أجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي لو
أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني
فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر
إذا غمس فيه الخيط غمسة واحدة . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها
لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك
فلا يلومن إلا نفسه» (١).

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد من خير وأنه إذا وجد
شراً فلا يلومن إلا نفسه .

وكثير من الناس يتكلم بأسان الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة
الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيته ، وبين الحقيقة الدينية الأمرية
المتعلقة برضاه ومحبهه ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقاً
لما أمر الله به على السن رسالة ، وبين من يقوم بوجوده وذوقه غير معتبر
ذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ،

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله ، فان هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه إلا كافر ، وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم ، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ . هذا إذا كان عالماً عادلاً ، وإلا ففي « السنن » عن النبي ﷺ أنه قال : « القضاة ثلاثة : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ؛ رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار » (١).

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد ﷺ . فقد ثبت عنه في « الصحيحين » أنه قال : « إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » .

فقد أخبر سيد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك ، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له ، وأنه إنما يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة . إذا حكم الحاكم

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

بما ظنه حجة شرعية كالبيئنة والافرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر لم
يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضي به له بالاتفاق . وإن حكم في العقود
والفسوخ بمثل ذلك ، فأكثر العلماء يقول : إن الأمر كذلك ، وهو
مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وفرق أبو حنيفة رضي الله عنه
بين النوعين .

فلفظ الشرع والشرية إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن
لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه ، ومن ظن أن لأحد
من أولياء الله طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً فلم
يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر .

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر ، كان غلطاً من

وجهين :

أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان على
الخضر اتباعه ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى نبي إسرائيل ، وأما محمد
ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجن ، والانس ، ولو أدركه من هو
أفضل من الخضر ، كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه ،
فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً؟ ولهذا قال الخضر لموسى :
« أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله

علمكه الله، لا أعلمه»^(١) وليس لأحد من الثقلين الدين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بيّنها له وافقه على ذلك، فإن خرق السفينة ثم ترقيمها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها، إحسان إليهم، وذلك جائز، وقتل الصائل جائز وإن كان صغيراً، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان، قال له: إن كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلا فلا تقتلهم، رواه البخاري.

وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع، فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفاً شرع الله.

وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم، فقد يكون ظالماً، وقد يكون عادلاً، وقد يكون صواباً، وقد يكون خطأ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه، كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث ابن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وداود وغيرهم، فهو لا أقوالهم

(١) أخرجه الشيخان والترمذي.

يحتج لها بالكتاب والسنة ، وإذا قلده غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزاً ، أي ليس اتباع أحدهم واجباً على جميع الأمة ، كاتباع الرسول ﷺ ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم .
وأما إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة ، أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ، ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل ، فيجب الفرق بين الشرع المنزّل ، والشرع المؤول ، والشرع المبدّل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأمرية ، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة ، وبين ما يكتفي فيها بذوق صاحبها ووجدته .

فصل

وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء والاذن والتحريم والبعث والارسال والكلام والجعل ، وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه ، وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه ، ولا يجملهم من أوليائه المتقين ، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأتاب فاعليه وأكرمهم ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ، ومات على

ذلك ، كان من أوياته ، ومن كان عمله فيما يفضيه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه ، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية ، والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبه ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً .

وهذه مخصصة بالايان والعمل الصالح ، قال الله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء)^(١) .

وقال نوح عليه السلام لقومه : (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)^(٢) ، وقال تعالى : (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ)^(٣) ، وقال تعالى في الثانية^(٤) : (ومن كان مريضاً أو على سفر فمدّة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)^(٥) . وقال في آية الطهارة : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)^(٦) . ولما ذكر ما أحلّه وما حرّمه من

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٢٥ (٢) سورة هود ، الآية : ١٣٤

(٣) سورة الرعد ، الآية : ١١

(٤) لعله يريد بقوله : الثانية : الآية الثانية بهذا المعنى ، والأولى قوله تعالى : (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فمدّة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) . (٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ (٦) سورة المائدة ، الآية : ٦

النسكاح قال : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً) (١) .

وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) (٢) ، والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فن أطاع أمره كان مطهراً قد أذهب عنه الرجس ، بخلاف من عصاه .
وأما الأمر ، فقال في الأمر الكوني : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٣) ، وقال تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) (٤) ، وقال تعالى : (أباها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجملناها حصيداً كأن لم تكن بالأمس) (٥) .

وأما الأمر الديني فقال تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى بمعظكم لعلكم تذكرون) (٦) ، وقال تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات

(١) سورة النساء ، الآيات : ٢٦-٢٨ (٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣

(٣) سورة النحل ، الآية : ٤٠ (٤) سورة القمر ، الآية : ٥٠

(٥) سورة يونس ، الآية : ٢٤ (٦) سورة النحل ، الآية : ٩٠

إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان مميماً بصيراً) (١).

وأما الإذن، فقال في الكوني لما ذكر السحر: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) (٢) أي بعشيئته وقدرته؛ وإلا فالسحر لم يبيحه الله عز وجل.

وقال في الإذن الديني: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٣)، وقال تعالى: (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه) (٤)، وقال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله) (٥)، وقال تعالى: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) (٦).

وأما القضاء فقال في الكوني: (فقضاهن سبع سماوات في يومين) (٧)، وقال سبحانه: (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكون) (٨).

وقال في الديني: (وقضى ربك أن تعبدوا إلا إياه) (٩) أي

(١) - سورة النساء، الآية: ٨٥ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٢١ (٤) سورة الاحزاب، الآيات: ٤٥، ٤٦

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٤ (٦) سورة الحشر، الآية: ٥

(٧) سورة السجدة، الآية: ١٤ (٨) سورة البقرة، الآية: ١١٧

(٩) سورة الاسراء، الآية: ٢٣

أمر ، وليس المراد به : قدّر ذلك ، فإنه قد عبد غيره ، كما أخبرني غير موضع ، كقوله تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم وما لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (١) .

وقال الخليل عليه لقومه : (أفرايتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآبائكم الأقدمون فانهم عدوي لإل رب العالمين) (٢) وقال تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كافرين . الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده . لا قول لإبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) (٣) وقال تعالى : (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين) (٤) وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم ، ولا تقتضي رضاه بذلك ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) (٥) .

ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضى منه بدين الكفار ، فهو من

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ (٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ (٤) سورة الكافرون

(٥) سورة يونس ، الآية : ٣١

أكذب الناس وأكفرهم ، كمن ظن أن قوله : (وقضى ربك)^(١) بمعنى قدر ، وأن الله سبحانه ما قضى بشي إلا وقع ، وجعل عبادة الأصنام ما عبدوا إلا الله ، فإن هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب .

وأما لفظ البعث ، فقال تعالى في البعث الكوني : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فيجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً)^(٢) .

وقال في البعث الديني : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)^(٣) وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)^(٤) .

وأما لفظ الارسال فقال في الارسال الكوني : (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزاً)^(٥) وقال تعالى : (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته)^(٦) .

وقال في الديني : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً)^(٧) وقال

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٣ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥

(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ (٤) سورة النحل ، الآية : ٣٦

(٥) سورة مريم ، الآية : ٥٣ (٦) سورة الفرقان ، الآية : ٤٨

(٧) سورة الاحزاب ، الآية : ٤٥

تعالى : (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومهِ)^(١) وقال تعالى : (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً)^(٢) وقال تعالى :
(الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس)^(٣) .

وأما لفظ الجميل ، فقال في الكونى : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)^(٤) .

وقال في الدينى : (لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا)^(٥) وقال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)^(٦) .

وأما لفظ التجريم ، فقال في الكونى : (وحرّمنا عليه المراضع من قبل)^(٧) وقال تعالى : (فانها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض)^(٨) .

وقال في الدينى : (حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به)^(٩) وقال تعالى : (حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت)^(١٠) الآية .

(١) سورة نوح ، الآية : ١ (٢) سورة المزمل ، الآية : ١٥

(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٥ (٤) سورة القصص ، الآية : ٤١

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ (٦) سورة المائدة ، الآية : ١٠٣

(٧) سورة القصص ، الآية : ١٢ (٨) سورة المائدة ، الآية : ٢٦

(٩) سورة المائدة ، الآية : ٣ (١٠) سورة النساء ، الآية : ٢٣

وأما لفظ الكلمات، فقال في الكلمات الكونية: (وصدق
بكلمات ربها وكتبه)^(١).

وثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه كان يقول: « أعوذ
بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق، ومن غضبه وعقابه وشر عباده،
ومن همزات الشياطين وأن يحضرون »^(٢). وقال ﷺ: « من نزل منزلاً
فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى
يرتحل من منزله ذلك »^(٣). وكان يقول: « أعوذ بكلمات الله التامات التي
لا يجاوزهن بر ولا فاجر، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج
منها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق، إلا طارقاً يطرق
بخير يا رحمن »^(٤).

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢

(٢) ليس في الصحيح هذا اللفظ وإنما رواه مالك في « الموطأ » عن يحيى بن
سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ: « إني أروع في منامي فقال
له رسول الله ﷺ: « قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده
ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ».

(٣) أخرجه مسلم عن خواتمة بنت حكيم قالت: قال رسول الله ﷺ: « من نزل
منزلاً... الحديث »

(٤) روى الطبراني عن خالد بن الوليد أنه شكأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال: « إني أجد فزعاً في الليل فقال: « ألا أعلمك كلمات علمنهن جبريل عليه
السلام وزعم أن عفريتاً من الليل بكيدني فقال: أعوذ بكلمات الله التامات التي =

وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، هي التي
 كوّن بها الكائنات، فلا يخرج برّ ولا فاجر عن تكوينه ومشينته
 وقدرته وأما كلماته الدينية، وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه،
 فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجّار .
 وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجملة النبي،
 وإذنه الديني، وإرادته الدينية .

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها برّ ولا فاجر، فانه يدخل
 تحتها جميع الخلق، حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل
 النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشينة والقدرة والقدرة
 لهم، فقد اقرقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضى والغضب .
 وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور،
 وصبروا على المقدور، فأحبهم وأحبّوه، ورضي عنهم ورضوا عنه .
 وأعداؤه أولياء الشياطين، وإن كانوا تحت قدرته فهو يفضهم،
 ويغضب عليهم ويلمعهم ويعاديهم .

وبسط هذه الجمل له موضع آخر، وإنما كتبت هنا تنبيهاً على

= لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يهرج فيها ومن شر ما ذرأ في
 الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل وفتن النهار ومن شر طوارق الليل
 والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يارحمان، ورواه مالك بنحوه .

مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ ، فإنه هو الذي فرّق الله تعالى به بين أوليائه السعداء ، وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه أهل الجنة ، وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ، وبين أعدائه أهل الغي والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان ، وأولياؤه الذين كتب في قلوبهم الايمان ، وأبّدهم بروح منه قال تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله)^(١) الآية ، وقال تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أعي معكم فتبتوا الذين آمنوا سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)^(٢) .

وقال في أعدائه : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك)^(٣) ، وقال : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)^(٤) ، وقال : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفكأ أنيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٧ (٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٣

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ (٤) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢

آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعدما ظلموا
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (١)، وقال تعالى: (فلا أقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول
شاعر قليلًا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون. تنزيل
من رب العالمين. ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين.
ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين. وإنه لتذكرة
للمتقين. وإنا لنعلم أن منكم مكذبين. وإنه لحسرة على الكافرين.
وإنه لحق اليقين. فسبح باسم ربك العظيم) (٢)، وقال تعالى: (فذكر
فأنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) (٣)، إلى قوله: (إن كانوا
صادقين) (٤).

فتره سبحانه وتعالى نبينا محمداً ﷺ عن تقترن به الشياطين
من الكهان والشعراء والمجانين، ويبيّن أن الذي جاءه بالقرآن ملك
كريم اصطفاه. قال الله تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن
الناس) (٥)، وقال تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١ - ٢٢٧

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٣٨ - ٥٢ (٣) سورة الطور، الآية: ٢٩

(٤) - سورة الطور، الآية: ٣٤ (٥) سورة الحج، الآية: ٧٥

الأمين - على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) (١) ،
 وقال تعالى : (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله) (٢)
 الآية ، وقال تعالى : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
 الرجيم) (٣) إلى قوله : (وبشرى للمسلمين) (٤) ، فسماه الروح الأمين
 وسماه روح القدس ، وقال تعالى : (فلا أقسم بالخنثس . الجوار
 الكنثس) (٥) يعني الكواكب التي تكون في السماء خائسة ، أي منخفضة
 قبل طلوعها ، فاذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فاذا غربت ذهبت
 إلى كناسها الذي يحجبها (والليل إذا عسعس) (٦) أي إذا أدبر وأقبل
 الصبح (والصبح إذا تنفس) (٧) أي أقبل (إنه لقول رسول كريم) (٨)
 وهو جبريل عليه السلام (ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم
 أمين) (٩) أي مطاع في السماء أمين ، ثم قال : (وما صاحبكم بمجنون) (١٠)
 أي صاحبكم الذي من الله عليكم به ، إذ بعثه اليكم رسولا من جنسكم
 يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة ، كما قال تعالى (وقالوا

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ١٩٢-١٩٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٩٧

(٣) سورة النحل ، الآية : ٦٨ (٤) سورة النحل ، الآية : ١٠٢

(٥) سورة التكوير ، الايتان : ١٥ ، ١٦

(٦) سورة التكوير ، الآية : ١٧ (٧) سورة التكوير ، الآية : ١٨

(٨) سورة التكوير ، الآية : ١٩ (٩) سورة التكوير ، الايتان : ٢٠ ، ٢١

(١٠) سورة التكوير ، الآية : ٢٢

لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلاً آيَةً (١) وقال تعالى: (ولقد رآه بالأفق المبين) (٢) أي رأى جبريل عليه السلام (وما هو على الغيب بضنين) (٣) أي عنهم، وفي القراءة الأخرى (بضنين) (٤) أي يخيل بكم العلم ولا يبذله إلا يجعل، كما يفعل من بكم العلم إلا بالمعوض (وما هو بقول شيطان رجيم) (٥) فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا، كما نزه محمداً ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً.

فأولياء الله المتقون هم المقعدون بمحمد ﷺ، فيفعلون ما أمر به، ويبتغون عما عنه زجر، ويقعدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي بكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياءه، كراماتهم لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك.

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر (٦)

(١) سورة الانعام، الايات: ٨، ٩ (٢) سورة التكوير، الآية: ٢٣
 (٣) سورة التكوير، الآية: ٢٤ (٤) سورة التكوير: الآية ٢٤ وهي قراءة حفص
 (٥) سورة التكوير، الآية: ٢٥
 (٦) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك.

وتسبيح الحصاص في كفه^(١)، وإتيان الشجر إليه^(٢)، وحنين الجذع إليه^(٣)، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس^(٤)، وإخباره بما كان وما يكون^(٥)، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب صرات كثيرة، كما أشبع في الخندق المسكر من قدر طعام وهو لم ينقص، في حديث أم سليم المشهور^(٦)، وروى المسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص، وملا أوعية المسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص، وهم نحو ثلاثين ألفاً ونسب الماء من بين أصابعه صرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة^(٧)، ورد له لعمري أبي قتادة حين سألت على خده فرجعت أحسن عينيه^(٨) ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن

(١) رواه البزار والطبراني عن أبي ذر . (٢) رواه مسلم عن جابر .

(٣) في «الصحيحين» .

(٤) في «الصحيحين» والترمذي عن جابر . قال : قال رسول الله ﷺ : لما

كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

(٥) أخرجه مسلم من حديث له عن عمرو بن أخطب : فأخبرنا ما كان وما هو

كائن فأعلمنا أحفظنا . (٦) في «الصحيحين» عن جابر .

(٧) في «الصحيحين» عن جابر .

(٨) رواه الطبراني وأبو يعلى . قال الهيثمي في «المجمع» وفي إسناد الطبراني من

لم أعرفهم ، وفي إسناد أبي يعلى ، الحفاني ، وهو ضعيف .

الأشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرأت^(١)، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلاً كلاً منهم حزاً له قطعة، وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم، ثم فضل فضلة^(٢). و[قضى] دين عبد الله أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقاً^(٣).

قال جابر: فأمر صاحب الدين أن يأخذ النمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل؛ فمشى فيها رسول الله ﷺ، ثم قال لجابر: جدد له، فوفاه الثلاثين وسقاً، وفضل سبعة عشر وسقاً ومثل هذا كثير، قد جمعت نحو ألف معجزة.

وكرامات الصحابة والتابعين بمدحهم وسائر الصالحين كثيرة جداً، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلّة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته^(٤) وكانت

(١) الذي في البخاري أن الذي كسرت رجله مسحها رسول الله ﷺ فبرأت هو عبد الله بن عتيك الذي بعثه رسول الله ﷺ لقتل أبي رافع، وأما محمد بن مسلمة فقد قتل كعباً ولم تكسر رجله.

(٢) في الصحيحين، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا قضى دون حقه أو حله.

(٤) نزول الظلّة والسرج كان عند قراءة سورة البقرة كما أخرجه البخاري عن أسيد. أما ما حدث له عند قراءة الكهف فقد ورد بلفظ «نفسته سبحانه» وهو في الصحيحين.

الملائكة تسلّم على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء
 يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبج ما فيها. وعباد بن بشر
 وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة،
 فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا؛ افترق الضوء معها رواه
 البخاري وغيره.

وقصة الصديق في «الصحيحين» لما ذهب بثلاثة أضياف معه
 إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبِعوا
 وصارت أكثر مما هي قبل ذلك. فنظر إليها أبو بكر وامرأته؛ فاذا
 هي أكثر مما كانت، فرفعا إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام
 كثيرون فأكلوا منها وشبِعوا.

وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله
 تعالى، وكان يؤتى بمنب يأكله وليس بمكة عنبة^(١).

وعامر بن فهيرة قتل شهيداً، فالتمسوا جسده فلم يقدرُوا
 عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع. وقال
 عروة: فيرون الملائكة رفعته.

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة ، سمعت حساً على رأسها ، فرفته فاذا دلو معلق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها .

وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ ، فشى معه الأسد حتى أوصله مقصده^(١) .

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبراً قسمه^(٢) ، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براه ! أقسم على ربك ، فيقول : يارب ! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد ، فنجحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً .
وخالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً ، فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم ، فشربه فلم يضره .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة^(٣) ، ما دعا قط إلا

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .
(٢) رواه الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك » .
(٣) روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » . فكان لا يدعو إلا استجيب له .

استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .
وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمر عليهم رجلاً يسمى
سارية ، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية ! الجبل ،
يا سارية الجبل الجبل ، فقدم رسول الجيش فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين !
لقينا عدو أفهزمونا فاذا بصائح : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا
ظهورنا بالجبل فهزمهم الله ^(١) .

ولما عذبت الزنيرة على الاسلام في الله ، فأبت إلا الاسلام
وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى ،
قالت : كلا والله ، فردَّ الله عليها بصرها ^(٢) .

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت
عليه ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ، فعميت
ووقعت في حفرة من أرضها فأتت ^(٣) .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين ،
وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حلیم يا عليُّ يا عظیم ، فيستجاب له ، ودعا
الله بأن يسقوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم ، فأجيب ،

(١) رواه البيهقي في الدلائل ، قال ابن حجر في الاصابة ، إسناده حسن .

(٢) أخرج القصة عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في الاصابة .

(٣) القصة أخرجها مسلم .

ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدرُوا على المرور بخيولهم ، ففروا
كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا
مات ، فلم يجدوه في اللحد ، وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني
الذي ألقى في النار ، فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ،
وهي ترمي بالخشب من مدّها ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون
من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ،
فقال : أتبعني ، فقبعته فوجدتها قد تعلقت بشيء فأخذها ، وطلبه
الأسود العنسي لما ادعى النبوة ، فقال له : أنشهد أني رسول الله ؟ قال :
ما أسمع ، قال : أنشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقى
فيها ، فوجدوه قائماً يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً .

وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي
بكر الصديق رضي الله عنهما ، وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى
من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله ، ووضعت
له جاريته السم في طعامه فلم يضره ، وخببت امرأة عليه زوجته ، فدعا عليها
فعميت وجاءت وتابت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها .

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه أني درهم في كفه ، وما يلقاه
سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجي إلى بيته فلا يتغير عددها

ولا وزنها. ومرَّ بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بثيابه الأسد، ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحيي من الله أن أخاف شيئاً غيره، ومرَّت القافلة، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه.

وتغيب الحسن البصري^(١) عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بمض الخوارج - كان يؤذيهم - فخر ميتاً.

وصلة بن أشيم^(٢) مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة. ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية، وأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز، فدعا الله عز وجل واستظمه، فوَقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل النمر، وبقي الثوب عند زوجته زماناً. وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل، فلما سلم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع؛ فوَلَّى الأسد وله زئير.

(١) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، تابعي جليل توفي رحمه الله بالبصرة سنة ١١٠ هـ.

(٢) هو أبو الصهباء، تابعي من زهاد البصرة وعبادم، قتل بكابل في ولاية الحجاج سنة ٥٧٥ هـ.

وكان سعيد بن المسيب^(١) في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ في أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره .

ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق ، فقال له أصحابه : هلم نتوزع متاعك على رحالنا ، فقال لهم : أمهلوني هنيهة ، ثم توضع فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه .

ولمات أويس القرني^(٢) وجدوا في ثيابه أ كفافاً لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الآثواب .

وكان عمرو بن عقبة بن فرق قد يصاغي يوماً في شدة الحر فأظلمته غمامة وكان السبع يحميه ، وهو برعى ركاب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم .

وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير^(٣) إذا دخل بيته سبحت

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب القرشي الخزومي ، أحد العلماء الأثبات ، والفقهاء الكبار ، توفي رحمه الله سنة ٥٩٣ هـ .

(٢) هو أويس بن عامر القرني ، من سادات التابعين ، أصله من اليمن ، بشر به الرسول ﷺ ، كما في «صحيح مسلم» ، توفي رحمه الله سنة ٥٣٧ هـ .

(٣) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير أبو عبد الله البصري ، ثقة عابد فاضل توفي رحمه الله سنة ٥٩٥ هـ .

معه آينته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة ، فأضاء لهما طرف
السطح .

ولما مات الأحنف بن قيس ^(١) ، وقعت قلنسوة رجل في قبره ،
فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر .

وكان إبراهيم التيمي ^(٢) يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً ،
وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه ، فر بسبلة حمراء فأخذ منها ،
ثم رجع إلى أهله ففتحها فاذا هي حنطة حمراء ، فكان إذا زرع منها
تخرج السنبلية من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً .

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودمعاً
غزيراً ، وطعاماً من غير تكلف . فكان إذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه
جارية دهره ، وكان بأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من
أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد ^(٣) أصابه الفالج ، فسأل ربه أن
يطلق له أعضائه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه
ثم تعود بعده .

(١) هو الأحنف بن قيس التيمي ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم ، توفي
رحمه الله سنة ٥٦٧ هـ .

(٢) هو أبو أسماء إبراهيم بن يزيد التيمي ، طاب مشهور توفي رحمه الله سنة ٩٢ هـ .

(٣) من الزاهدين توفي سنة ١٩٧ هـ .

وهذا باب واسع. [و] قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضوع.

وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فاذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستقنياً عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك ، لعلّ درجته وغناه عنها ، لا لتقص ولايته. ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم ، فهو لأعظم درجة .

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد الله بن صياد^(١) الذي ظهر في زمن النبي ﷺ ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال ، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان . قال له النبي ﷺ : « قد خبأت لك خبأً » قال : الدّخ الدّخ . وقد كان خبأً له سورة الدخان ، فقال له النبي ﷺ : « احسأ فلن تعدو قدرك » يعني إنما أنت من إخوان الكهان ، والكهان كانوا يكونون لأحدم القرين من الشياطين يخبره

(١) وحديثه في « الصحيحين » .

بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم »

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال النبي ﷺ : « ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه ؟ » قالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم قال رسول الله ﷺ : « فانه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ؛ ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش : ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ، ثم يستنخر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكمهم زبدون » .

وفي رواية ، قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ .
والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من

يخبره ببعض الأمور المغيبة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أحانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه .

وكذلك مسيلة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور .

وأمثال هؤلاء كثيرون ، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادّعى النبوة ، وكانت للشياطين تخرج رجله من القيد ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه ، ونسبح الرخامة إذا مسحها بيده ، وكان يري الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول : هي الملائكة ، وإنما كانوا جنّاً ، ولما أمسكه المسلمون ليقنلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : إنك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله .

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها ، مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يحسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة ؟ »

فيقول : زعم أنه لا يعود ، فيقول : « كذبتك وإنه سيعود » فلما كان في المرة الثالثة ، قال : دعني حتى أعلمك ما ينفعك : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)^(١) إلى آخرها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فلما أخبر النبي ﷺ قال : « صدقتك وهو كذوب » وأخبره أنه شيطان^(٢) .

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها، مثل من يدخل النار بحال شيطاني ، أو يحضر سماع المكاء والتصدية^(٣) فتزل عليه الشياطين وتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم ، وربما لا يفقه . وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه ، وربما تكلم باللسنة مختلفة ، كما يتكلم الجنى على لسان المصروع . والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبَّطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه ، فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال .

ولهذا قد يضرب المصروع [ضرباً كثيراً حتى قد يقتل مثله الإنسي أو يمرضه لو كان هو المضروب] وذلك الضرب لا يؤثر في

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) رواه البخاري .

(٣) المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .

الإنسي ، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء ، لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه .

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجني إلى مكة ، أو بيت المقدس أو غيرها ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يعيده من ليلته ، فلا يحج حجاً شرعياً ، بل يذهب بثيابه ، ولا يحرم إذا حاذى الميقات ، ولا يلبس ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يسمى بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجمار ، بل يقف بعرفة بثيابه ، ثم يرجع من ليلته ، وهذا ليس بحج [مشروع باتفاق المسلمين ، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء وإلى غير القبلة ، ومن هؤلاء المحمولين ، من حمل مرة إلى عرفات ورجع فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج] فقال : ألا تكتبوني ؟ فقوا : لست من الحجاج . يعني لم تحج حجاً شرعياً .

وبين كرامات الأولياء ، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة : منها ، أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية ، سببها ما نهى الله عنه ورسوله . وقد قال تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما

بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون^(١) قال قول على الله بغير علم ، والشرك والظلم والفواحش ؛ قد حرّمها الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها ، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والدكر وقراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأُمور التي فيها شرك ، كالأستغاثة بالمخلوقات ، أو كانت مما يستعان بها على ظم الخلق وفعل الفواحش ، فهي من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية .

ومن هؤلاء من إذا حضر صماع المكاء والتصدية ينزل عليه شيطانه حتى يحمّله في الهواء ويخرجه من تلك الدار ، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالى ، طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى هذا لغير واحد .
ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت ، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً ، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث ؛ فيظن أنه ذلك الشخص ، أو هو ملك تصوّر على صورته ، وإنما هو شيطان أصله لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين .

(١) سورة الامراف ، الآية : ٣٣

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له : أنا الخضر ، وربما أخبره ببعض الأمور ، وأحاطه على بعض مطالبه ؛ كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت ، فيأتي الشيطان بعد موته على صورته ، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضي الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت ، ويدخل إلى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كفار الهند ، فيظنون أنه عاش بعد موته ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال : إذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسلني ، فأنا أجيء وأغسل نفسي ، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غسله ، أي غسل الميت ، غاب ، وكان ذلك شيطاناً ، وكان قد أضل الميت . وقال : إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك ، فلما مات جاء أيضاً في صورته لينعوي الأحياء ، كما أعوى الميت قبل ذلك .

ومنهم من يرى عرشاً في الهواء ، وفوقه نور ، ويسمع من يخاطبه ويقول : أنا ربك ، فإن كان من أهل المعرفة ؛ علم أنه شيطان فزجره واستماذ بالله منه ، فيزول .

ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو

صدّيق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد [وهوؤلاء
منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره ، فيرى القبر قد انشق وخرج
إليه صورة ، فيعتقدها الميت ، وإنما هو جني تصوّر بتلك الصورة .
ومنهم من يرى فارساً قد خرج من قبره ، أو دخل في قبره ، ويكون
ذلك شيطاناً ، وكل من قال : إنه رأى نبياً بعين رأسه فما رأى إلا
خيالاً] .

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكارب ؛ إما الصدّيق رضي
الله عنه أو غيره قد قصّ شعره ، أو حلّقه ، أو ألبسه طاقينه ، أو ثوبه ،
فيصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره مخلوق ، أو مقصر ، وإنما الجن قد
حلّقوا شعره أو قصروه ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج
عن الكتاب والسنة ، وهم درجات ، والجن الذين يقترنون بهم من
جنسهم وعلى مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ ، فإن
كان الأُنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً ، دخلوا معه في الكفر والفسوق
والضلال ، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر ، مثل
الإقسام عليهم بأسماء من يعظّمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب
أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة ، أو يقلب فاتحة الكتاب ، أو سورة
الإخلاص ، أو آية الكرسي ، أو غيرهنّ ، ويكتبهنّ بنجاسة فيمورون له

الماء ، وينقلونه بسبب ما يوضيهم به من الكفر ، وقد يأتونه بمن يهواه من امرأة أو صبي ؛ إما في الهواء ، وإما مدفوعاً ملجأً إليه . إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها ، والايان بها ؛ إيمان بالجبوت والطاغوت والجبوت : السحر . والطاغوت : الشياطين والأصنام . وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً ؛ لم يمكنهم الدخول معه في ذلك ، أو مسالته ،

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيوت الله ، كان عمّار المساجد أبعده عن الأحوال الشيطانية ، وكان أهل الشرك والبدع بمضمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو يدعون به ، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ، أقرب إلى الأحوال الشيطانية ، فإنه ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

وثبت في « صحيح مسلم » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال : « إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله ، لا يبقين في المسجد خوذة إلا سدّت ، إلا

خوخة أبي بكر ، إن من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا
تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك .»

وفي « الصحيحين » عنه أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض
الجبشة ، وذكروا من حسناتها وتصاوير فيها ، فقال : « إن أولئك إذا
مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيها تلك
التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة .»

وفي « المسند » و« صحيح أبي حاتم »^(١) عنه ﷺ قال : « إن
من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين اتخذوا القبور
مساجد .»

وفي « الصحيح » عنه ﷺ أنه قال : « لا تجلسوا على القبور
ولا تصلوا إليها .»

وفي « الموطأ » عنه ﷺ أنه قال : « اللهم لا تجعل قبري وتناً
يُعبَد ، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .»

وفي « السنن » عنه ﷺ أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ،
وصلوا عليّ حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني .»

(١) وهو المعروف بـ « صحيح ابن حبان »

وقال ﷺ: «ما من رجل يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ رُوحِي حتى أَرُدَّ عليه السلام» (١).

وقال ﷺ: «إن الله وكَّل بقبري ملائكة يُبلغونني من أمتي السلام».

وقال ﷺ: «أكثرُوا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلواتكم معروضة عليَّ» قالوا: يا رسول الله! كيف تعرض صلواتنا عليك وقد أُرمت؟ - يقولون: بليت - فقال: «إن الله حَرَّمَ علي الأَرْض أن تأكل لحوم الأنبياء» (٢).

وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام: (وقالوا: لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويغوث ونسراً) (٣)، قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم فعبدهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان.

(١) أخرجه أبو داود باسناد صحيح كما قال النووي.

(٢) أخرجه أبو داود باسناد صحيح كما قال النووي.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٣

فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها^(١) وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين ، فسد هذا الباب . والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ، ويسمون ذلك روحانية الكواكب ، وهو شيطان ، والشيطان وإن أعان الانسان على بعض مقاصده ، فانه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبة من أطاعه إلى شر ، إلا أن يتوب الله عليه .

وكذلك عبادة الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : « إذا أعيتم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور . وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك .

(١) قال ﷺ « لانحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولاغروبها فانها تطلع بين قرني شيطان » أخرجه مسلم .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عبّاذ الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انمقد ، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه ، يفعل الشيطان هذا ليضلّهم ، وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا ، فإن التوحيد يطرد الشيطان . ولهذا أُحمل بعضهم في الهواء فقال : لا إله إلا الله ، فسقط ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشقّ وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان .

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع .

ولما كان هذا الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله ، صارت الشياطين كثيراً ما تأوي المغارات والجبال ، مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون ، وجبل لبنان الذي بساحل الشام ، وجبل الفتح بأسوان بمصر ، وجبال الروم وخراسان ، وجبال الجزيرة ، وغير ذلك ، وجبل الالكام ، وجبل الأحيش ، وجبل سولان قرب أردبيل ، وجبل شهنك عند تبريز ، وجبل ماشكو عند أقشوان ، وجبل نهاوند ، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس ، ويسمونهم : رجال الغيب ، وإنما هناك رجال من الجن ، فالجن رجال ، كما أن الإنس رجال ، قال تعالى :

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم
رهقاً) (١).

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعرائي ، جلده يشبه جلد
الماعز ، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي ، وإنما هو جنّي . ويقال: بكل
جبل من هذه الجبال الأربعمون الأبدال وهوؤلاء الذين يظن أنهم
الأبدال هم جن بهذه الجبال، كما يعرف ذلك بطرق متعددة .

وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه، وذكر ما نعرفه من
ذلك ، فإننا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر
الذي كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى
ما يعرف به جمل ذلك .

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام : قسم يكذب
وجود ذلك لغير الأنبياء؛ وربما صدق به مجملًا ، وكذب ما يذكر له
عن كثير من الناس ، لكونه عنده ليس من الأولياء . ومنهم من
يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله وكلا
الأمرين خطأ . ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن المشركين وأهل
الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله .
وأوائك يكذبون أن يكون مهم من له خرق عادة ، والصواب القول

الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم، لا من أولياء الله عز وجل، كما قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعضاً ومن يتوآلهم منكم فإنه منهم) (١).

وهؤلاء العبادة والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة، تقترب بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطأ عليهم، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً، ومن الأثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين. قال الله تعالى: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفك أنيم) (٢) والأفك: الكذاب. والآنيم: الفاجر.

ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية؛ سماع الفناء والملاهي وهو سماع المشركين قال الله تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) (٣).

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف:

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١، ٢٢٢

(٣) سورة الانفال، الآية: ٣٥

التصدية : التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصفير . فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط ، لا بكف ، ولا بدف ، ولا تواجد ، ولا سقطت برده ، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ ، والباقيون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون ، وصرَّ النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له : صررت بك البارحة وأنت تقرأ ، فجعلت أستمع لقراءتك فقال : لو علمت أنك تستمع لخيرته لك تحبيراً^(١) ، أي لحسنته لك تحسيناً ، كما قال النبي ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »^(٢) وقال ﷺ : « لله أشد أذناً - أي استماعاً - إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »^(٣) وقال ﷺ لابن مسعود : « اقرأ عليَّ القرآن » فقال : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود ، والدارمي ، والحاكم ، وسنده صحيح .

(٣) أخرجه ابن ماجه وابن حبان ، والحاكم . قال في الزوائد ، إسناده حسن .

فَقَالَ : « إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ سُورَةَ (النِّسَاءِ) ،
حَتَّى انْتَهَيْتْ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا
بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)^(١) قَالَ : « حَسْبُكَ » ، فَذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ مِنَ الْبُكَاءِ .
وَمِثْلُ هَذَا السَّمَاعِ ؛ هُوَ سَمَاعُ النَّبِيِّينَ وَاتِّبَاعِهِمْ ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ
فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ : (أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ
وَمِنْ مَحَلَّنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
إِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)^(٢) .

وَقَالَ فِي أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى
أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ)^(٣) .

وَمَدْحُ سُبْحَانَةِ أَهْلِ هَذَا السَّمَاعِ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ ،
وَافْتِشَارِ الْجِلْدِ ، وَدَمْعِ الْعَيْنِ ، فَقَالَ تَعَالَى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)^(٤) وَقَالَ تَعَالَى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أَوْلَئِكَ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)^(٥) .

(١) سُورَةُ النَّسَاءِ ، الْآيَةُ : ٤٦ (٢) سُورَةُ مَرْيَمَ ، الْآيَةُ : ٥٨

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، الْآيَةُ : ٨٣ (٤) سُورَةُ الزُّمَرِ ، الْآيَةُ : ٢٣

(٥) سُورَةُ الْإِنْفَالِ ، الْآيَاتُ : ٢-٤

وأما السماع المحدث ؛ سماع الكف والدف والقصب، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأَكابر من أئمة الدين، يحملون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات، بل يعدونه من البدع المذمومة؛ حتى قال الشافعي: خائفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه التغيير، يصدون به الناس عن القرآن. وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً. ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم.

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله، كان نصيب الشيطان فيه أكثر، وهو بمنزلة الخمر، [بل هو] يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر، ولهذا إذا قويت سكرة أهله؛ نزلت عليهم الشياطين، وتكلمت على السنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل عداوة بينهم، كما تحصل بين شراب الخمر، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونهم. ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هذا مبعث لصاحبه عن الله، وهو ممن أحوال الشياطين، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما حله الله، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه؟! وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة. فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته.

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم ، كالمكاشفات ،
ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للمعادات ،
ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر ،
من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى .

وجميع ما يؤتبه الله لعبده من هذه الأمور ، إن استعان به على
ما يحبه الله ويرضاه ، ويقربه إليه ، ويرفع درجته ، ويؤمره الله به ورسوله ،
ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله ورسوله ، وعلت درجته . وإن استعان
به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك ، والظلم ، والفواحش ، استحق
بذلك الدم والعقاب ، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية ،
وإلا كان كأمثاله من المذنبين ، ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب
الخوارق ، تارة بسلبها ، كما يعزل الملك عن ملكه ، ويسلب العالم علمه ،
وتارة بسلب التطوعات ، فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة ، وتارة
ينزل إلى درجة الفساق ، وتارة يرتد عن الإسلام ، وهذا يكون فيمن
له خوارق شيطانية ، فإن كثيراً من هؤلاء يرتد عن الإسلام ، وكثيراً
منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أولياء الله ،
ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل ، إذا أعطى عبداً خرق عادة لم
يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً
وتصرفاً ؛ لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة

لا مأمور بها ولا منهي عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم
الابرار المقتصدون ، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء ، كما أن
العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل ، كان
كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى ، كما يتوب
من الذنوب ، كالزنا ، والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ،
وكلهم يأمر المرید السالك أن لا يقف عندها ، ولا يجعلها همته ، ولا
يتبجح بها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من
الشياطين تفويهم بها ؟ فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من
المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم
الحجر والشجر ، وتقول : هنيئاً لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي ،
فيذهب ذلك وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتخاطبه المصافير
وغيرها ، وتقول : خذني حتى بأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد
دخل فيها ، كما يدخل في الأيس ، ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في
البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح ، وبالعكس ،
وكذلك في أبواب المدينة . وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ،
أو تريحه أنواراً ، وتحضر عنده من يطالبه ، ويكون ذلك من الشياطين

يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ، ذهب ذلك كله .

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ، ويمده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء ، فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينا وشمالاً ، ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي ، أو نومه ، أو ذهابه ، حصل له ما أراد من غير حر كمنه في الظاهر ، وتحمله إلى مكة ، وتأتي به ، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة ، وتقول له هذه الملائكة الكرويون أرادوا زيارتك ، فيقول في نفسه : كيف تصورا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحي ، ويقول له : علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة ، فنبت ويراها ، وغير ذلك ، وكاه من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع ، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير . وقد قال تعالى : (فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فيقول ربي أهانن)^(١) قال الله تبارك وتعالى : (كلا) ولفظ (كلا) فيها زجر وتنبية ، زجر

(١) سورة الفجر ، الآيتان : ١٥ ، ١٦

عن مثل هذا القول ، وتذبيبه على ما يخبر به ، وبؤمر به بعده ؛ وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دينوية تعد كرامة ، يكون الله عز وجل مكرماً له بها ، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك ، بل هو سبحانه يتلى عبده بالسراء والضراء ، فقد يعطي النعم الدينوية لمن لا يحبه ، ولا هو كريم عنده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيضاً كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى ، فما كان سببه الكفر والفسوق والمعصيان ، فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة ، والقراءة ، والذكر ، وقيام الليل ، والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، والغائب ، أو بالفسق والمعصيان وأكل المحرمات ، كالحليات ، والزنابير ، والحنافس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء ، والرقص ، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرقص ليلاً طويلاً ، فإذا جاءت الصلاة صلّى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبنض سماع القرآن ، وينفر عنه ، وبتكلفه ، ليس له فيه

محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجوده ، ويحب سماع المكاء والتصديفة^(١) ويجد عنده مواجيد . فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله تعالى : (ومن يمشُ عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاناً فهو له قرين)^(٢) .

فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى : (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)^(٣) يعني تركت العمل بها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

فصل

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ إلى جميع الانس والجن ، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الايمان بمحمد ﷺ واتباعه ،

(١) المكاء : الصفير . والتصديفة : التصفيق .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦

(٣) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ - ١٢٦

فعلية أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيئه فيما أمر . ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء كان إنسياً أو جنياً .

ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استتمت

الجن القرآن ، ووثوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي

بأصحابه يبطن نخلة لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن

بقوله : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما

حضره قالوا أنصتوا فلما نضى وثوا إلى قومهم منذرين . قلوا يا قومنا

إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق

وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم

من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس

بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين)^(١)

وأنزل الله تعالى بعد ذلك : (قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن

فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً . يهدي إلى الرشد فأمنوا به ولن نشرك بربنا

أحداً . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنه كان يقول

سفهيها على الله شططاً . وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله

كذباً وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم

رهقاً)^(٢) أي السفهيه منا في أظهر قولي العلماء .

(١) سورة الاحقاف ، الآيات : ٢٩-٣٢ (٢) سورة الجن ، الآيات : ١-٦

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الانس إذا نزل بالوادي قال : أعوذ بمظلم هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الانس والجن ، ازدادت الجن طغياناً وكفراً ، كما قال تعالى : (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً . وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً)^(١) وكانت الشياطين ترمي بالشهب قبل أن ينزل القرآن ، لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم ، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً ، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوا ، كما قالوا : (وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً)^(٢) وقال تعالى في الآية الأخرى : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمزولون)^(٣) قالوا : (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً . وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً)^(٤) أي على مذاهب شتى ، كما قال العلماء منهم : المسلم والمشرک ، واليهودي والنصراني ، والسني والبدعي .

(١) سورة الجن ، الآيات : ٦-٧ (٢) سورة الجن ، الآية : ٩

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٢١٠-٢١٢

(٤) سورة الجن ، الآيات : ١٠ ، ١١

(وأنا ظننا أن إن نمجز الله في الأرض ولن نمجزه هرباً) ^(١) أخبروا أنهم لا يعجزونه؛ لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه: (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً. وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) ^(٢) أي الظالمون.

يقال: أقسط إذا عدل، وقسط: إذا جار وظلم (فمن أسلم فأولئك تحروا ورشداً. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً. وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً. لنتفئهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صمداً. وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً. قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا. قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) ^(٣) أي ملجأً ومعاذاً (إلا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يصد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً. حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً) ^(٤).

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جن

(١) سورة الجن؛ الآية: ١٢ (٢) سورة الجن، الآيات: ١٣، ١٤

(٣) سورة الجن، الآيات: ١٤-٢٢ (٤) سورة الجن، الآيات: ٢٣، ٢٤

نصيدين، كما ثبت ذلك في «الصحيح من حديث ابن مسعود وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن، وكان إذ قال: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)»^(١) قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا تكذب، فلك الحمد^(٢).

ولما اجتمعوا بالنبى ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونهُ أوفر ما يكون لحماً، وكل بكرة علف لدوابكم»، قال النبى ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنها زاد إخوانكم من الجن»^(٣) وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك، وقالوا: فإذا منع من الاستنجاء بما للجن ولدوابهم، فما أعد للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى.

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الإنس والجن، وهذا أعظم قدرًا عند الله تعالى من كون الجن سخروا سليمان عليه السلام، فإنهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك، ومحمد ﷺ أرسل إليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله، لأنه عبد الله ورسوله، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبى الملك.

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٣

(٢) أخرجه ابن جرير، ورجال إسناده ثقات.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود.

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع ، وأما مؤمنوم ،
فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل
من الانس ، ولم يثبت من الجن رسول ؛ لكن منهم النذُر ، وهذه المسائل
لبسطها موضع آخر .

والمقصود هنا أن الجن مع الانس على أحوال : فمن كان من
الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة
نبيه ، ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في
ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه ، ومن كان يستعمل الجن في
أمر مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له ، وهذا
كان بأمرهم بما يجب عليهم ، وإنها هم عما حرم عليهم ، ويستعملهم في
مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

هذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى ، فغابته أن يكون في عموم
أولياء الله تعالى ، مثل النبي الملك مع العبد الرسول ، كسليمان ويوسف
مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله ، وإما في الشرك ،
وإما في قتل معصوم الدم ، أو في العدوان عليهم بغير القتل ، كتمر بضعه
وإنسانه العلم ، وغير ذلك ؛ وإما في فاحشة ، كجلب من يطلب فيه

الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الإثم والمدوان ، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصٍ ، إما فاسق ، وإما مذنب غير فاسق .

وإن لم يكن تاماً العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ، مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ، ونحو ذلك ، فهذا مفرور قد مكروا به .

و كثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ؛ بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التليسات الشيطانية ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فإن كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان ، أو هموه أنه يذتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك

أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (١).
ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب
يقصدون السجود لها ، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم
له ، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغاث به المشركون ، فإن
كان نصرانياً واستغاث بجرس أو غيره ، جاء الشيطان في صورة
جرس أو من يستغاث به . وإن كان منتسباً إلى الاسلام واستغاث
بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين ، جاء في صورة ذلك الشيخ .
وإن كان من مشركي الهند ، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك .
ثم إن الشيخ المستغاث به ، إن كان ممن له خبرة بالشريعة ، لم يعرفه
الشيطان أنه تمثّل لأصحابه المستغاثين به ، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة
له ، أخبره بأقوالهم ، ونقل أقوالهم له ، فيظن أو لئلك أن الشيخ مع
أصواتهم من البعد وأجابهم ، وإعنا هو يتوسط الشيطان .
ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كانت قد جرى لهم مثل هذا
بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال : يربني الجن شيئاً برأفاً مثل الماء والزجاج ،
ويعتلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به ، قال : فأخبر الناس به ،
ويوصلون إليّ كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه ، فيوصلون
جوابي إليه .

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق - إذا كذب بها من لم يعرفها وقال: إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة، كما يدخل النار بحجر الطلق ونشور النارنج، ودهن الضفادع، وغير ذلك من الحيل الطبيعية، - يتمجب هؤلاء المشايخ ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل. فلما ذكر لهم الخبير: إنكم لصادقون في ذلك، ولكن هذه الأحوال شيطانية، أقرّوا بذلك، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، واليه المرجع والمآب،

وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله

وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه، صلاة

وسلاماً نستوجب بها شفاعته

آمين

تفسير : سقط من التعليق رقم (٣) في الصفحة (٣١) من رسالة

الفرقان هذه ما يلي :

وأخرجه أحمد بن حنبل في « مسنده » عن عبد الله بن عمر بلفظ :
قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى
ذكر فتنة الأحماس . فقال قائل : يا رسول الله ! وما فتنة الأحماس ؟
قال : « هي فتنة هرب وحرَب ، ثم فتنة السراء دَخَلُهَا أو دَخِنُهَا
من تحت قَدَمِي رَجُلٍ من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ، وإنما
ولبي المنقون » .

قال أحمد شاكر في تعليقه عليه : إسناده صحيح .

الفرس

الموضوع	الصفحة
الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	٢
صفات أولياء الله تعالى	٥
أفضل أولياء الله تعالى	٨
لا يصح في عدد الأبدال حديث	١٤
الحوارج من الفئة المارقة	١٥
بطلان حديث التواجد	١٦
ما يتوقف عليه صحة الإيمان من الأركان	١٧
أوصاف أهل الإيمان	١٨
من لم يكن متبعاً لذكر الله فهو من أولياء الشيطان	٢١
أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	٢٢
أربع من أمر الجاهلية	٢٣
أولياء الله على طبقتين	٢٤
الناس يوم القيامة على ثلاثة أقسام	٢٦
الفرق بين الرسول العبد والنبي المملك	٣١
تقسيم الناس الى سابق ومقتصد وظالم لنفسه	٣٣
لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد	٣٥
تفاضل الناس في ولاية الله بحسب أعمالهم	٣٧
لا تكليف الا بعد بلوغ الدعوة	٣٨

الموضوع	الصفحة
الإيمان المجمل والمفصل	٣٩
تفاوت الناس في الأجر	٤١
لا يكون الولي إلا مؤمناً تقياً	٣٢
لا يكون الولي مجنوناً	٤٣
ليس للأولياء زي يتميزون به	٤٦
التحقيق في اسم الصوفية	٤٧
التفاضل بالتقوى لا بالنسب	٤٨
ما يراد بلفظ الفقر في الشرع	٤٩
أفضل الأعمال عند الله عز وجل	٥١
وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه	٥٢
النهي عن التنطع في الدين	٥٣
العصمة للأنبياء وليست للأولياء	٥٤
التكليف بحسب الطاقة	٥٥
المجتهد مأجور أصاب أم أخطأ	٥٦
أحاديث في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٨
لم تكتب العصمة لغير الأنبياء	٥٩
فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٦٠
تفسير قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته)	٦٣
وجوب الإيمان بالأنبياء وبما جاؤوا به	٦٤
عموم رسالة محمد ﷺ	٦٧
ليست الخوارق دليلاً على الولاية	٦٩
أوصاف أولياء الشيطان	٧٢
أوصاف أولياء الرحمن	٧٣
تعريف الشرعة والمنهاج	٧٤

الموضوع	الصفحة
دين الانبياء جميعاً هو الاسلام	٧٦
الأنبياء أفضل من الأولياء	٧٧
أفضل الأمم أمة محمد ﷺ	٧٨
القول بأن الأولياء أفضل من الانبياء خلال	٨٠
محمد ﷺ سيد ولد آدم	٨١
اعتقاد بعض الصوفية مذهب الفلاسفة الفاسد	٨٣
دعوى أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات ككفر	٨٤
تخليط متأخري الفلاسفة من المسلمين	٨٥
خصائص النبوة في زعم بعض الفلاسفة	٨٦
لا يصح في فضل العقل حديث	٨٨
مفهوم العقل عند المسلمين والفلاسفة	٨٩
أوصاف الملائكة في القرآن	٩١
ضلال الملاحدة والمتفلسفة في إنكار أصول الايمان	٩٣
تأييد الله تعالى لعباده المؤمنين بالملائكة	٩٦
تمثل الشياطين لبعض من يدعي نزول الوحي عليه	٩٧
عقيدة الحلول والاتحاد عند بعض الصوفية	٩٩
ادعاء الاتحاديين أن القرآن شرك	١٠٠
تعطيلهم للخالق	١٠١
كفرهم في تعميم الألوهية	١٠٢
ادعاؤهم أن النبوة لم تنقطع	١٠٣
ادعاؤهم أن وحدة الوجود غاية التحقيق	١٠٥
ادعاؤهم أن كل شيء في الوجود هو الله	١٠٧
كل ما في السموات والأرض مخلوق لله وليس هو الله	١٠٨

الموضوع	الصفحة
معية الله بعلمه ونصره لا بذاته	١٠٩
الله تعالى ليس كمثل شيء	١١٠
الله تعالى رب كل شيء ومليكه	١١١
أعظم الذنب أن تجعل لله نداً وقد خلقك	١١٢
الأمر بختم الأعمال بالاستغفار	١١٣
خلال من يقول : إن الذنوب لا تضر صاحبها	١١٧
لا يستوي العاصي والمطيع عند الله	١١٩
سيد الاستغفار	١١٢
التفريق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية	١٢٣
وجوب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً	١٢٥
ما فعله الخضر عليه السلام لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام	١٢٦
أعظم الفروق بين أولياء الله وأعدائه	١٢٧
الإرادة الدينية وما تختص به	١٢٨
قول الله تعالى في الأمر الكوني والأمر الديني	١٢٩
الأذن الكوني والأذن الديني	١٣٠
المراد بالقضاء الديني	١٣١
البعث الكوني والبعث الديني	١٣٢
الجعل الكوني والديني والتحریم الكوني والديني	١٣٣
بعض الادعية التي تحفظ قائلها	١٣٤

الموضوع	الصفحة
بجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	١٣٥
أولياء الله هم المتقون والمقتدون بمحمد ﷺ	١٣٩
بعض معجزات الرسول ﷺ	١٤٠
كرامات بعض الصحابة رضي الله عنهم	١٤١
بعض كرامات العلاء بن الحضرمي	١٤٥
كرامات بعض التابعين	١٤٦
الكلام على ابن صياد	١٤٩
استراق الشياطين للسمع	١٥٠
الشياطين تطلع أتباعها على بعض المغيبات	١٥١
آية الكرسي تحفظ قائلها من الشيطان	١٥٢
ظهور بعض الخوارق من أتباع الشياطين	١٥٣
بعض ما يخدع به الشيطان أولياءه	١٥٦
مبدأ عبادة الاوثان	١٥٩
النهي عن أشياء سداً لباب الشرك	١٦٠
الناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام	١٦٢
ما يقوي الاحوال الشيطانية	١٦٣
حال الصحابة عند قراءة القرآن والذكر	١٦٤
سماع النبيين والصالحين من عباد الله	١٦٥
السماع المحدث المذموم	١٦٦
اغواء الشيطان لبعض الجهلة	١٦٧
تليسات الشيطان على بعض العباد	١٦٨
انخداع العباد الجاهلين بالالوهام الشيطانية	١٦٩

7
back

١٨٦

الموضوع	الصفحة
مبنى الكرامات على الايمان والتقوى	١٧٠
عموم رسالة محمد ﷺ للتقلين	١٧٢
آيات في اوصاف الجن	١٧٣
آيات تثبت تكليف الجن	١٧٤
اجتماع الرسول ﷺ بالجن	١٧٥
اتصال الانس بالجن محمود ومذموم	١٧٦
اضلال الجن لمن يتصل بهم من جهة المسامحة	١٧٧
تصور الشيطان بصورة من يستغاث به	١٧٨
الجيل التي يلجأ اليها المشعوذون	١٧٩

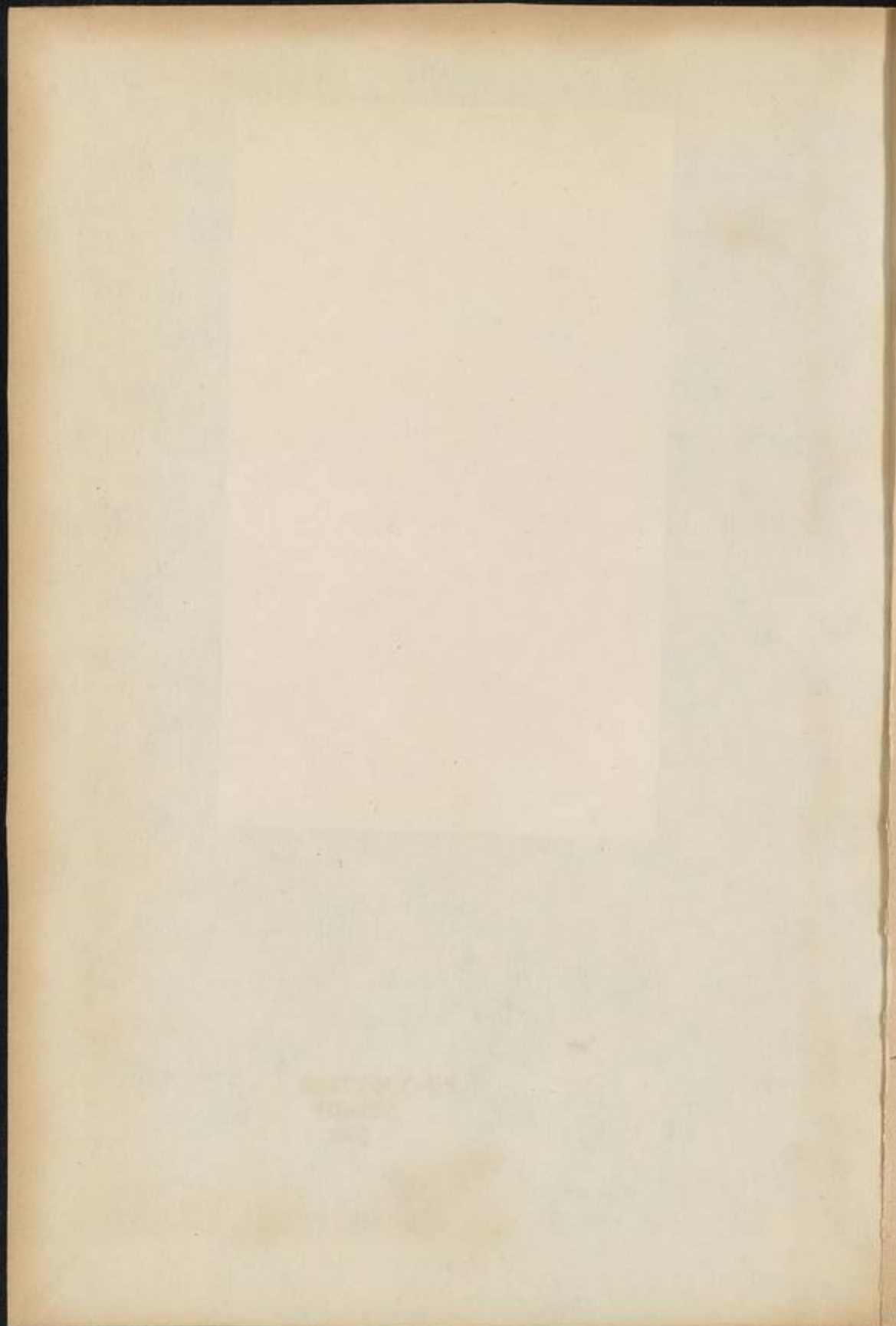


PB-33637-SB

521-03

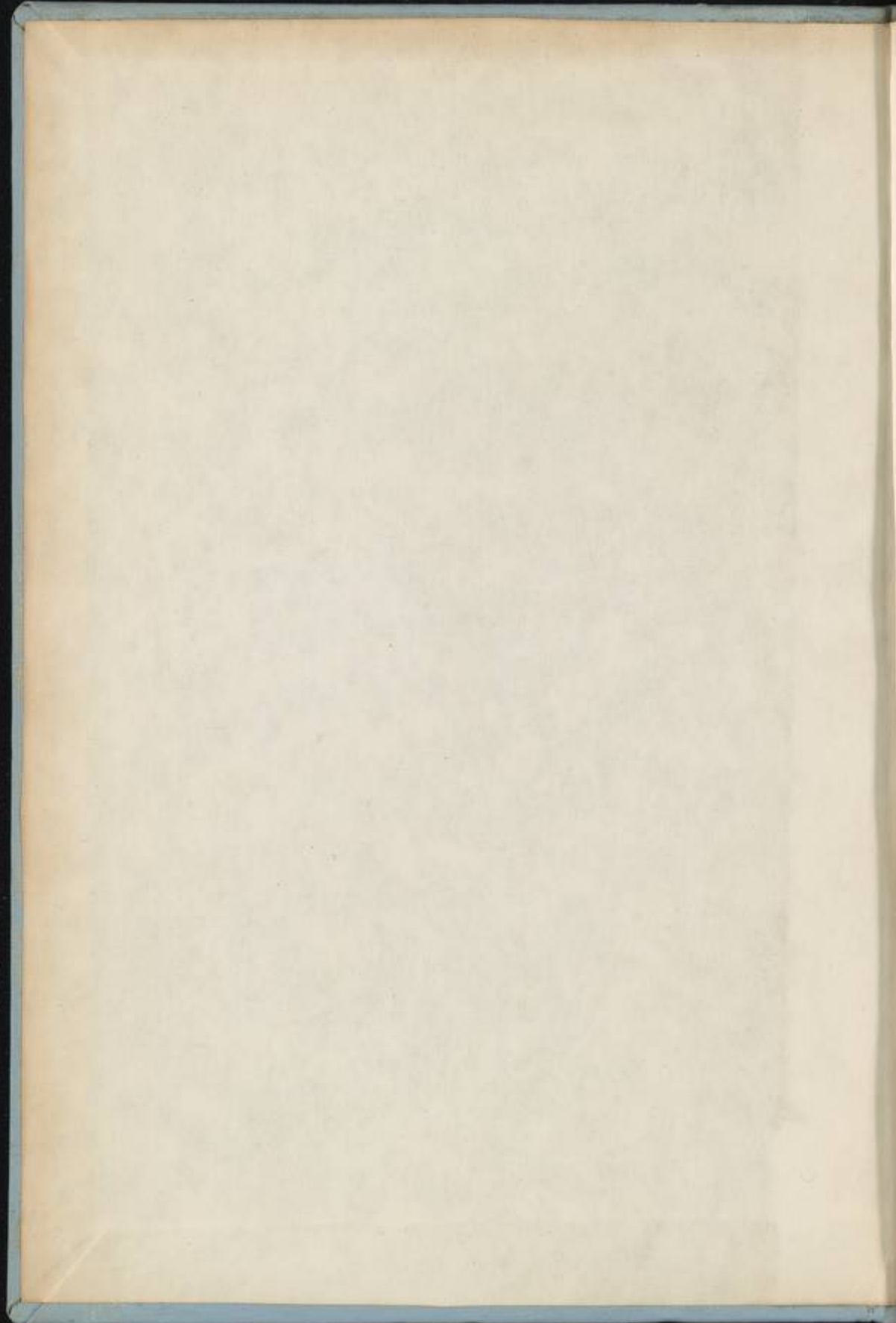
5-c

6075



Date Due

Demco 38-297



NYU - BOBST



31142 00497 3379

BP189.4 .I3 1962

al-Furqan bayna aswya al-Rahm